دراسات
في التفسير والحديث

تأليف

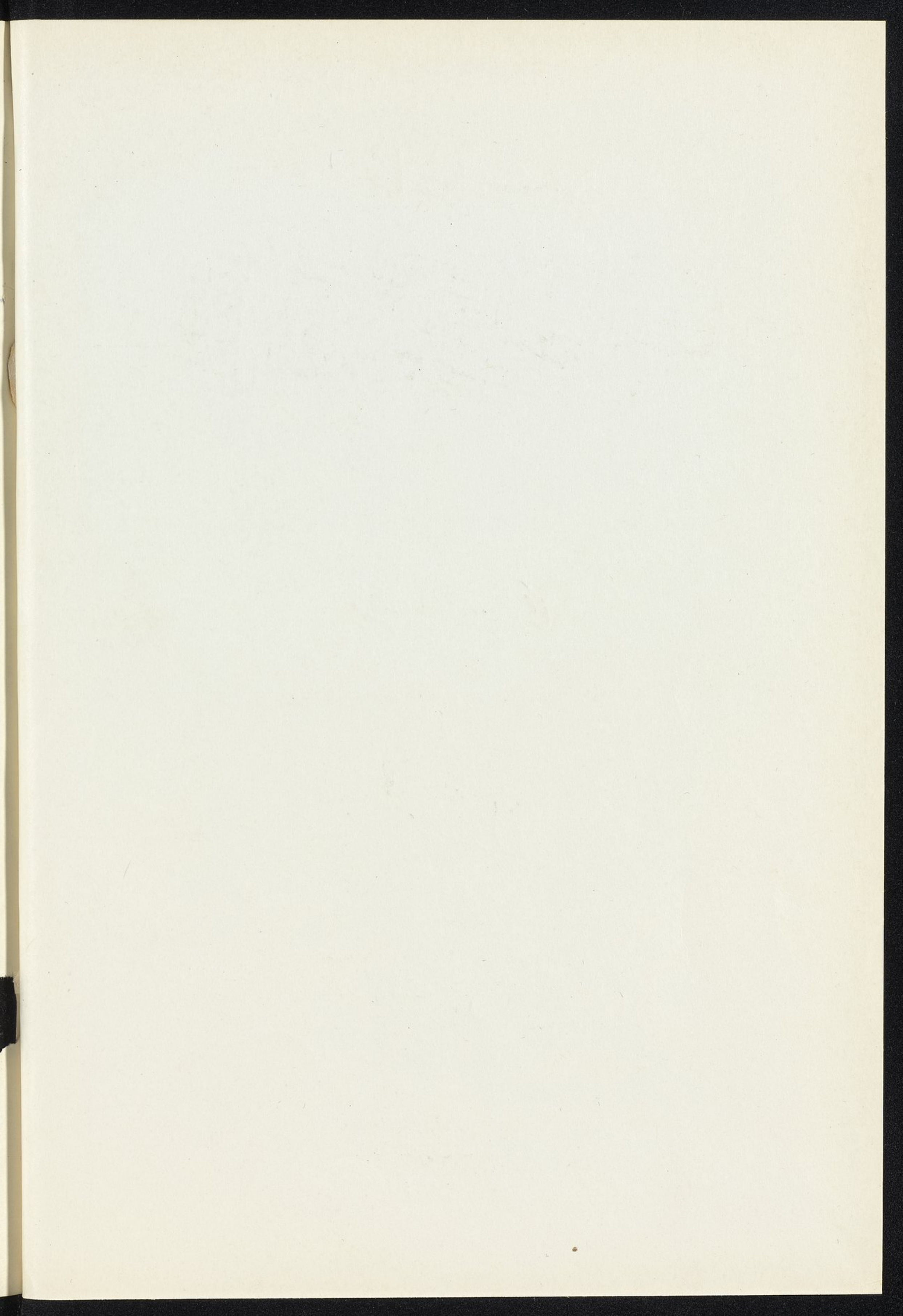
رشيد العبيدي

الاستاذ بجامعة بغداد والجامعة المستنصرية

الجزء الأول

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٧٠



دراسات

في التفسير والحديث

تأليف

رشيد العبيدي

الأستاذ بجامعة بغداد

الجزء الأول

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغرُ الميامين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد فهذه محاضرات في التفسير والحديث ، القيتها على طلبة الصفوف الثانية ، في كلية الآداب بجامعة بغداد ، وكلية الآداب بالجامعة المستنصرية .

وقد تناولتْ هذه المحاضرات فيما تناولته بعض المباحث الهامة لبيان جلال القرآن الكريم ، والحديث الشريف . وجعلت مباحث القرآن في باب ، ومباحث الحديث في باب ، كما جعلت تحت الباب الأول عدة فصول . ذكرت في الفصل الأول منه الدين الاسلامي ، أصوله ، وأحكامه .

ثم تحدثت فيه عن أحكام الله تعالى ، وكونها معللة بمصالح العباد ، وذكرت في الفصل الثاني ان الأحكام الأساسية في القرآن لم تتبدل بتبدل الاحوال والأيام ، وانما هناك آيات عامة تبيح التوسع ، وتجوز الرخص الشرعية .

وقلت في الفصل الثالث ان القرآن والحديث هما أهم أصول التشريع الاسلامي ، كما ذكرت فيه أنواع الأحكام الشرعية

كالعبادات ، والمعاملات ، والعقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم . والأحكام التي شرعت لتحديد علاقة الأمة بالحكومة تلك العلاقة المعروفة في زماننا هذا بالأحكام الدستورية وكذلك ذكرت فيه أحكام الجهاد ونظام الحرب ، ثم بينت ان جميع أوامر الله ونواهيه يمكن ردها الى أمور :

١ - عدم الحرج . ٢ - تقليل التكاليف . ٣ - التدرج في التشريع . ٤ - الاجمال بعد التفصيل .

وتحدثت في الفصل الرابع عن عظمة التشريع الاسلامي وعلو قدره ، وما يمتاز به على كل تشريع ، فذكرت من مزاياه :

١ - موافقته لمقتضى العقل الراجح .

٢ - انه تشريع عالمي يستهدف جميع الأمم .

٣ - انه تشريع واقعي لا افراط فيه ولا تفريط .

٤ - ان مصادره تدخر في الفاظها حقائق لا تنتهي حكمتها ولا يبطل معناها مدى الحياة البشرية .

٥ - ان أحكامه قائمة على مراعاة الفضائل العامة .

٦ - انه يجعل للرأي العام منزلة كبيرة عند أولى الأمر .

٧ - انه يهدف الى التربية النفسية والى إحياء ضمير الفرد والامة .

ثم تكلمت في الفصل الخامس عن أسماء القرآن وموارد اشتقاقها ، وهل فسر الرسول القرآن لفظاً ومعنى ؟ . كما تكلمت عن فواتح السور ، ورأي الشيخ شلتوت فيها .

أما الفصل السادس فقد تحدثت فيه عن ظاهرة الوحي ومراتبه ، وعن الأحاديث المروية عن كيفيته .

واشتمل الفصل السابع على مبحث تنجيم القرآن ، والآيات المكية والمدنية . وأسباب النزول . كما اشتمل الفصل الثامن على مباحث جمع القرآن ، وكتّابه وحفّاظه .

وفي الفصل التاسع تكلمت عن مبحث اعجاز القرآن ، والمحكم والمتشابه ثم علم القراءات والقراء .

وفي الفصل العاشر تفسير سورة (ق) ، وفي الحادي عشر تفسير سورة النجم وبها ختم الباب الأول .

الباب الثاني

اشتمل هذا الباب على عدة فصول ايضاً .

الفصل الأول اشتمل على مبحث الحديث الشريف والسنة النبوية ، واشتمل الفصل الثاني على تدوين الحديث والرحلة في طلبه أما الفصل الثالث فقد اشتمل على دور الحديث وجهد المحدثين . والفصل الرابع اشتمل على علم الحديث رواية ودراية . أما الفصل الخامس فقد اشتمل على كتب الحديث ومراتبها ، وشروط الراوي والفصل السادس اشتمل على أقسام الحديث الصحيح ، والحسن والضعيف ، وأما الفصل السابع فقد اشتمل على الحديث المشترك بين الصحيح والضعيف ، وأسباب الوضع في الحديث ، وجعلت في الفصل الثامن قراءة احاديث مختارة من كتاب المجازات النبوية للشريف الرضي ، وبها ختم هذا الكتاب ، والله حسبي . به اهتدي ومنه التمس التوفيق .

رشيد علي العبيدي

الأستاذ بجامعة بغداد

والجامعة المستنصرية

الباب الأول

الفصل الاول

تمهيد

الدين الاسلامى أصوله وأحكامه

الاسلام دين الفطرة السليمة يضمن رقي الانسان وسعادته كما ضمنت نواميس الكون التوازن التام بين جميع الاجرام ، وبهذا الاعتبار كان دين الاسلام دين عقل ، وعلم ، ونظام ، ليس فيه محل للخرافات والاساطير ، ولا مجال في أحكامه وتشريعاته للفوضى والاضطراب ، فجميع ما جاء في مصادره التشريعية مبنيّ على الحكمة ورعاية المصالح العامة ، فهو ثابت الأصول متجدد الفروع . ان جميع أحكام الدين سواء أكانت قرآنية أوسنة نبوية انما هي أحكام تدور مع العلل وجوداً وعدماً ، وتتمشى مع مصالح الاجيال البشرية على اختلاف سلالاتها ، وازمانها ، وأمكنتها . ولهذه الاحكام أسرار تحتاج الى نظر فلسفي محيط بكل ما حدث ويحدث في الكائنات ، كما يحتاج الى اطلاع واسع على مقاصد الشارع الحكيم ومقارنة ذلك بأحوال الافراد ، والجماعات ، والأمم ، في مشارق

الارض ومغاربها . ولقد أكد غير واحد من أساطين العلم وافذاذ المشرعين ، ان الدين الاسلامي هو أرقى وأكمل الشرائع التي جاءت لرقي المجتمعات وهدايتها وليست الهداية غير ناموس التطور والانتقال من حال الى حال .

ذهب جمهور الفقهاء الى أن الاصل في أمور العبادات انما هو التعبد على الوجه الذي أمرت به الشريعة الاسلامية كما انهم ذهبوا الى أن أمور المعاملات إن لم يكن فيها شرع هو نص في الموضوع فقد يصار الحكم الشرعي فيها الى ما تقتضيه المصلحة العامة الهادفة الى المحافظة على الدين أو النفس أو العقل أو النسل أو المال .

ولا مناص للمسلمين حينئذ من الأخذ بعلل المصالح المرسلة وجعلها محلاً للفتوى ، ومصدراً من مصادر التشريع المعتبرة ، تمشياً مع تطور العلوم وتجدد الأحداث واختلاف الأعراف والعادات واتصال الأمة الاسلامية بأمم الارض ، واشتراكها معها في الشؤون العالميــة ما دامت تلك الشؤون لا تتعارض مع جوهر الدين . بل تساعد على نشر الاسلام بين هاتيكم الأمم الاجنبية .

ولا يخفى ان عدم الأخذ بما تقتضيه مصلحة الأمة الاسلامية يعرضها الى مخاطر جسيمة ويجلب عليها مفاسد تقوض كيانها الدولي ، وتعزلها عن اكبر ندوة أممية في العالم .

كل ذلك يوجب علينا نحن معاشر المسلمين أن نتخذ للامور أهبتها من قبل أن تأتينا ساعة يأخذنا فيها الندم ويمسنا فيها العذاب .

أحكام الله معللة بمصالح العباد

ذهب كثير من فقهاء المسلمين الذين يعتد بآرائهم الى أن أوامره ونواهيه كلها معللة بمصالح العباد غير أن بعض العلل قد ظهر لنا جلياً وبعضها قد خفي على الناس لحكمة هو أعلم بها .

ومما لا ريب فيه ، ان هذا الخفاء سيظهره الله عز وجل حين يشاء في أوقات وأحوال قدّرها تقديراً . ولعل الله جلّت قدرته جعل في هذا الخفاء مصلحة للعباد فترك بعض الاحكام للناس ، يقررونها بما يكفل مصالحهم الطارئة بحسب ماتقتضيه أحوالهم ويلائم بيئاتهم.

ولقد ذكر كثير من المعنيين بالاحكام القرآنية ان الناس في بحر هذه الحضارة المتجددة أحوج ما يكونون الى معالم شرعية تبين حدودها ، وتعين حلالها من حرامها ، لأن النصوص الشرعية متناهية والوقائع غير متناهية والذي له نهاية لا يضبط شيئاً بلا نهاية . فأما أن يترك الناس مع أهوائهم في المتاهات يحرمون ما يشاؤون ويحللون مايشاؤون ، وأما أن يقفوا تلقاء الاحوال الجديدة المستحدثة جامدين لايجرؤون على شيء ، فتتعطل بذلك الاعمال وتتعقد الامور ، فيضطر المسلمون الى الأخذ بشريعة غير شريعتهم . وفي هذا الانحراف ما فيه من خطر على الملة الاسلامية ، في حياتها المستقبلة .

ومن هذا المنطلق يكون الأخذ بالمصالح العامة أمراً تحتمه مصلحة المسلمين وليس في هذا الأخذ خروج على الدين ما دامت المصلحة مقيدة بمقصود الشرع وغير مخالفة لروح الكتاب الكريم والحديث الشريف .

ثم ان كبار فقهاء المسلمين قد استحسنوا الأخذ بها ، وقالوا بشرعيتها ، غير انهم قيدوها بشروط ، حتى لا تكون وسيلة بأيدي أصحاب الاهواء الذاتية .

وأول هذه الشروط أن تكون المصلحة ضرورية : أي انها تكون من الامور التي تدور الاحكام الشرعية عليها .

وثاني هذه الشروط أن تكون المصلحة كلية : أي ان فائدتها تعم جميع المسلمين ، في جميع الاحوال ، فلا تختص بجماعة دون جماعة ، ولا مما تصح في حال ثم لا تصح في حال أخرى .

وثالث هذه الشروط أن تكون المصلحة من الامور التي يجزم المسلمون بصحتها ولا مجال للشك فيها .

ولقد مثل الغزالي للمصلحة الجامعة للاوصاف الثلاثة بكفار تترسوا بجماعة من أسرى المسلمين . فلو كففنا عنهم لقاتلونا وغلبوا على دار الاسلام ، ولو رمينا الترس لقتلنا مسلماً معصوم الدم لم يقترف ذنباً . لكن مصلحة عامة المسلمين تقتضي القتال ولو قتل أسرى المسلمين مع الاعداء ، لأن مقصود الشرع تقليل القتل ، أو حسمه ، قدر الامكان . وفي مقاتلة الكفار تحقيق ذلك لأنه اذا كففنا عنهم قتلوا المسلمين ثم قتلوا الاسرى ، ولئن لم نقدر على الحسم لقد قدرنا على التقليل فكان ذلك التفاتاً الى مصلحة عُلم بالضرورة كونُها مقصودَ الشرع .

الفصل الثاني

هل تتبدل الاحكام بتبدل الاحوال والايام؟

وحقيقة الامر ان الاحكام الاساسية لم تتبدل بتبدل الاحوال والايام، وانما هناك في القرآن الكريم آيات عامة تبيح التوسع وتجوز الرخص والتخفيفات في الاحكام الشرعية، ويمكن أن تكون أصلاً ومرداً لكثير من الحوادث الجديدة التي ليس لها نص خاص بها غير المصلحة العامة التي تدعو الى صلاح الامة. والتي أودع الله سبحانه وتعالى الحكم فيها الى ذوي العقول السليمة والبصائر النيرة من مجتهدي الملة الاسلامية. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعلم ببصائر الخلق وأدرى بما كان وما يكون. فخلق للناس عقولا وأمدها بنوع من القدرة على التصرف، والفهم بما هو عدل وخير وحق. ولولا ذلك لما جعل هذه العقول مناطاً للعقاب والثواب ومحلاً للتكاليف.

ثم اننا لسنا في الاخذ بهذا الرأي بدعاً فلنا في سلفنا الصالح قدوة حسنة فقد اقتضت مصلحة المسلمين زمن سيدنا أبي بكر الصديق وقبيل وفاته أن يستخلف بعده من يقوم باعباء الخلافة. مع ان هذا الاستخلاف لم يكن فيه نص صريح غير مقتضى المصلحة العامة فقد

ذكروا ان الصديق رضي الله عنه أرسل الى عثمان بن عفان وأملى عليه عهداً يستخلف فيه سيدنا عمر بن الخطاب .

قال فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة . في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . فان برّ وعدل فذلك علمي به . ورأيي فيه . وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب . والخير أردت « ولكل امرىء ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

وهناك امور اخرى حكم فيها المسلمون برأيهم وجعلوا المصلحة العامة علة لاحكامهم خلافا لما جرى عليه المسلمون في شأن الغنائم من قبل . إذ كانت الغنائم تقسم بين المسلمين لا فرق بين ارض وارض كما صرح بذلك الكتاب الكريم في قوله تعالى :

« واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خُمسهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . الانفال الاية ٤٢

فلننظر الى ما فعله الخليفة الثاني « رضي الله عنه » في الغنائم زمن خلافته . روى ابو يوسف في كتاب الخراج قال حدثني غير واحد من علماء اهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب جيش العراق من قبل سعد بن ابي وقاص شاور أصحاب محمد في تدوين الدواوين والتفضيل في العطاء . وشاورهم في قسمة الارضين التي أفاء الله على المسلمين من ارض العراق والشام . فتكلم قوم وارادوا ان يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا . غير ان سيدنا عمر رضي الله عنه

قال : فاذا قسمت ارض العراق بعلوجها ، وارض الشام بعلوجها . فما الذي نسد به الثغور وماذا سنبقى للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق ؟ . فقال جماعة الفاتحين : كيف نقف ما افاء الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ؟ . فكان سيدنا عمر لا يزيد على ان يقول : هـذا رأيي . قالوا : فاستشر . فوافقهم سيدنا عمر على الاستشارة . واستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا . فأما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه ان تقسم الغنائم على الفاتحين . واما عثمان وعلي وطلحة وابن عمر فكانوا على رأي عمر . ثم لم يكتف عمر بذلك فأرسل الي عشرة من الانصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبار الفريقين . فلما اجتمعوا قال لهـم عمر : اني لم ازعجكم وانتم اليوم تقرون بالحق . خالفني من خالفني . ووافقـني من وافقني . ولست أريد أن تتبعوا هـذا الذي هو هواي . معكم كتاب الله ينطق بالحق . فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريد ما أريد به إلا الحق . قالوا : قل نسمع يا أمير المؤمنين . قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا اني اظلمهم حقوقهـم ، واني أعوذ بالله أن اركب ظلماً ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً هولهم واعطيته غيرهم شقيت . ولكن رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم ، وأراضيهم ، وعلوجهم ، فقسمت ما غنموا من اموال بين أهـله ، واخرجت الخمس فوجهته على وجهه وأنا في توجيهه ، وقد رأيت ان احبس الارضين بعلوجها واضع عليهم فيهـا الخراج ، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقـاتلة ، والذرية لمن

يأتي بعدهم . ارأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ؟ ارأيتم هذه المدن العظام كالشام ، والجزيرة ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، لابد لها من ان تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم ؟ فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضين والعلوج على الغزاة الفاتحين ؟ . فقالوا جميعاً : الرأي رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت . إن لم تشحن هذه الثغور ، وهذه المدن بالرجال ، وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم . فقال : قد بان لي الأمر .

وهكذا قرر ابقاء الارض بأيدي أهلها ، وضرب الخراج عليهم وكان رأيه رضى الله عنه سديداً ، وسكت المخالفون اتباعاً الرأي الغالب الأسد .

الفصل الثالث

القرآن والحديث

هما أهم أصول التشريع الاسلامي

اجتمعت كلمة الأمة الاسلامية على ان اصول التشريع الاسلامي اربعة : ١ - كتاب الله تعالى ٢ - سنة نبيه ﷺ ٣ - اجماع علماء الاسلام البالغين درجة الاجتهاد ٤ - القياس لقوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا] . سورة النساء الاية ٥٩

القرآن الكريم

القرآن هو كتاب الله الخالد المنزل على رسوله محمد ﷺ المنقول الينا نقلًا متواتراً المكتوب في المصاحف المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين الى اليوم من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس ليكون دستور الحياة البشرية في الدنيا والآخرة ، وهو مصدر التشريع الاسلامي الأول ، منه تتفرع الأدلة وعنه تصدر الاحكام .

* * *

واما السنة النبوية الشريفة فهي بيان وتفصيل لما جاء في القرآن الكريم الذي لا يأتيه البطلان مهما اختلف الزمان والمكان ومهما تغيرت الاجيال والاحوال .

لذلك قال الفقهاء ان تشريع القرآن غالباً جاء مجملاً كلياً قلما يتعرض لبيان الحوادث الجزئية واحكامها ، وانما يضع القواعد الكلية والاصول القانونية ، والمبادىء التشريعية . ليرجع اليها العلماء المجتهدون في كل امة ، وفي اي زمن ، فيستنبطون منها ما يلائم حالة كل عصر ، وحاجة كل امة من الاحكام ، متوخين في ذلك المحافظة على اصول تشريعه وقواعد احكامه .

انواع الاحكام في التشريع القرآني

اشتمل القرآن الكريم على انواع من الاحكام العملية وهي التي تعرف عند العلماء بالاحكام الفقهية وهذا بيانها .

١ - العبادات التي لا تصح إلا بالنية ، وهي ما شرع لتنظيم رابطة الانسان بخالقه ، وهي اقسام : عبادة بدنية روحية ، من صلاة وصوم وعبادة مالية اجتماعية ، وهي الزكاة وسائر انواع الصدقات ، وعبادة روحية بدنية مالية كالحج والجهاد والوفاء بالنذر .

٢ - المعاملات التي شرعت احكامها لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض . واقامة الروابط بين افراد الامة وجماعتها ، على اساس العدل ، والرحمة ، والتعاون ، والمحبة ، ودفع اسباب الضر والعدوان ، واجتلاب النفع والخير ، ويدخل في ذلك المعاملات المدنية . من بيع ، واجارة ، ورهن ، و كفالة ، وحوالة ووكالة

كما يندرج تحتها ما يعرف بالاحوال الشخصية ، وهو ما يختص بالانسان من حين ولادته الى حين وفاته ، كالزواج ، والطلاق ، والعـدة ، وثبوت النسب ، والرضاع ، والنفقة ، والارث ، والوصية ، وما يتبع ذلك من احكام .

٣ - العقوبات التي شرعت لحفظ حياة الناس واعراضهم واموالهم وهي : عقوبات القتل ، والسرقة ، وقطع الطريق ، والزنى ، والقذف ، مما هو معروف بالقصاص والحدود .

٤ - احكام شرعت لتحديد علاقة الامة بالحكومة وبيان حقوق الوالي على الرعية وحقوق الرعية على الوالي ، وهي احكام الشورى ، والمساواة ، والعدل ، وطاعة اولى الامر ، فيما تجب فيه الطاعة ، وهي المعروفة في زماننا هذا بالاحكام الدستورية .

٥ - احكام شرعت للجهاد ، ونظام الحرب ، والقتال ، وتنظيم علاقات المسلمين ، بغيرهم من الامم ، وما يتبع ذلك من حكم الاسرى والفيء ، والغنائم ، وهي قريبة الشبه بما يُعرف الآن بالقوانين الدولية .

ولقد راعى القرآن الكريم في جميع اوامره ونواهيه واخباره وقصصه ثلاثة امور :

١ - عدم الحرج بدلالة قوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . سورة البقر آية ١٨٥

وقوله : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) سورة الحج ٧٨

وقوله تعالى : (يريد الله ان يخفف عنكم وخُلق الانسان ضعيفا) سورة النساء الاية ٧٨

وقال : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) سورة الاعراف الاية ١٥٧

٢ ـ تقليل التكاليف : وهو نتيجة لازمة لعدم الحرج . بدلالة قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تُبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين يُنزّلُ القرآن تُبدَ لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم ، قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) سورة المائدة آية ١٠٥ . وقوله ﷺ : ان الله فرض فرائض ، فلا تضيعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان لها فلا تسألوا عنها .

٣ ـ التدريج في التشريع : جاء النبي ﷺ والعرب قد استحكمت فيهم عادات منها ما هو صالح للبقاء ولا ضرر منه على تكوين الأمة ومنها ما هو ضار ينبغي ابعادهم عنه فاقتضت حكمة الله أن يتدرج الشرع بهم شيئاً فشيئاً لبيان حكمته واكمال دينه ، والمتأمل الفطن لا يرى في الآخر ابطالا للأول ، يؤيد ذلك أن العبادات لم تُشرّع في سنة واحدة ، ولم تفرض جملة على المسلمين في بدء الاسلام . سُئل رسول الله ﷺ عن الخمر والميسر ، فأجابهم بالحكم القرآني (قلْ فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما) سورة البقرة الآية ٢١٩ . ولم يصرح بالنهي عنهما وان كان يفهمه من هذه الآية الفقيه العالم بسرّ التشريع ، لأن ما كَثُرَ إثمه حَرَمَ فعله ، إذ لا يوجد في الافعال ما هو شر محض فالمدار في التحريم والتحليل غلبة الخير والشر . ثم صرح بنهيهم

عن الصـلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون ، فقـال تعـالى : (يا أيهـا الذين آمنوا لا تقربوا الصـلاة وأنـتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون) سورة النساء الآية ٤٣ .
وليس في هـذا النهي ابطال للأول بل هو مؤكد له . ثم جاء مصرحاً بالنهي بتاً للحكم فقال : (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انمـا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة فهل انتم منتهون) سورة المائدة الاية ٩٥ .

٤ ـ الاجمال ثم التفصيل : ويتجلى هذا من المقارنة بين التشريع المكي والتشريع المدني ، فالتشريع المكي مجمل قلما يذكر احكاما تفصيلية ، أما التشريع المدني فانه اشتمل على أحكام تفصيلية ذات أصول عامة ، وقواعد كلية ، فيها كل ما تحتاج اليه الأمم في جميع أمصارها وعامـة ازمنتها مما يكفل لهـا حياة الأمن والعزة والتمتع باسباب العـدل والمساواة ومقومات السعادة الروحية والجسمانية المعنوية والحسية في حدود الاعتـدال ، مجافية للافراط نائية عن التفريط ، وهـذا هو اللائق بشريعة باقيـة خالدة ختم بصاحبها عليه الصلاة والسلام عهد النبوات وجاء دينه اتم الاديان وأوفاها بحاجات البشر جميعا .

الفصل الرابع

جلال التشريع الاسلامى

يطلق التشريع عند المسلمين ويريدون به تلك الاحكام الفقهية الواردة في القرآن الكريم والسنة المحمدية ، وما حققه وأجمع عليه كبار العلماء عن طريق الاجتهاد ، والقياس في العبادات والمعاملات .

ولقد ذكر كثير من أئمة العلم وأساطين القانون في الشرق والغرب : ان التشريع الاسلامي حيّ نامٍ متطور مشتمل على كل ما يبدعه العقل وتأتي به قدرة الانسان ومدنيته .

ولقد حدثني الثقة بأن رجال الشريعة والقانون في مصر انهم أجمعوا على أن نسبة فقه الامام مالك في التشريع الفرنسى تبلغ ٩٢ بالمئة . ولا عجب فان التشريع الاسلامي تشريع جامع محكم مشتمل على جميع المبادىء اللازمة للنهوض الى أرفع درجات الكمال . حيث راعى المشرّع فيه حفظ المصالح كما عالج درء المفاسد بطرق آمنة ، مطمئنة ، لاضرر فيها ولا ضرار ، ورسم للناس منهجا واضحا صريحا ان أخذوا به أدركوا سعادة الدارين : دار الدنيا ودار الاخرة ، (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) سورة النحل الاية ٩٨

نعم لقد وضع الاسلام للخلق جميعا نظامهم الاخلاقي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والروحاني على شكل أصول عامة وقواعد كلية يمكن العمل بها فى كل مكان وكل زمان ، وأناط أمر تفصيلها برسوله الأمين ، وبخلفائه المهتدين ، وتابعيهم من المجتهدين والمصلحين .

ولقد أثبتت التجارب بالأدلة القطعية ، على أن هذا التشريع زكى العقلية العربية ، ورفع مستواها بصورة مباشرة ، كما رفع مستوى العقلية البشرية عن طريق انتشار الدعوة الاسلامية اثناء الفتح العربي فى شرق الارض وغربها .

ويمتـاز التشريع الاسلامى بمزايا لم تتوفر فى سائر الشرائع الاخرى . ومن هذه المزايا :

١ - موافقته لمقتضى العقل الراجح والمنطق السليم والفطرة النقية ، فجميع أوامره ونواهيه مبنية على ما تقتضيه العقول ، وتطمئن اليه الضمائر ، وتنصلح به الاحوال ، قال تعـالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) سورة الاسراء الاية ٣٥ ، ذلك لأن العلم الذي لم يصدر عن صدق السمع وصدق النظر وصدق الشعور قد يؤدي الى الجهالة وليس بعد الجهالة من شيء أخطر على أصول الاجتماع والحضارة والمدنية .

٢ - ان التشريع الاسلامي تشريع عالمي يهدف الى تحقيق العدالة في العالم ، وينظر الى الناس جميعاً على اختلاف مللهم ونحلهم كوحدة بشرية ، لا فرق بين اجزائها في الحقوق العامة على الاقل . وبهذا الاعتبار يكون التشريع الاسـلامي فوق الميول السياسية ،

وفوق المذاهب الاقتصادية الناشئة عن رغبات أفراد ينظرون الى مصالح انفسهم ، ولا ينظرون الى مصالح غيرهم ، فهو تشريع خلص من الانانية الفردية ، والاجتماعية ، والعنصرية ، وامحت منه فكرة الاحتكار ، والاستبداد بالناس ، أياً كان نوعهم وفي أي مكان من الارض يستوطنون .

٣ - التشريع الاسلامي تشريع واقعي ليس فيه افراط ولا تفريط . لذلك جاءت أحكامه كعلاج لكل ما يمكن أن يصدر عن الطبيعة البشرية من زيغ عن الحق واستهتار بالانظمة والقوانين . فوضعت الحدود وأمرت بتنفيذها على اتم وجه ، وأحسن تطبيق . فاذا تمادى المجرمون في الظلم ، ولم تنفع معهم النصيحة ، ولم تؤثر فيهم الموعظة الحسنة ، وجب على أولى الأمر أن يضربوا على أيديهم حتى تستقيم نفوسهم ويرجعوا الى الصراط المستقيم .
ذلك لأن أهداف الاسلام أهداف انسانية تربوية لا تستبيح العقوبات ولا تطبق الحدود إلا بمقدار ما يدفع الظلم والاجرام . قال تعالى : (فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) سورة البقرة الاية ١٩٣ .

وقال تعالى : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم) سورة الانفال الاية ٦٢ .

٤ - ومن مزايا التشريع الاسلامي ان مصادره تدخر في الفاظها حقائق لا تنتهي حكمتها ولا يبطل معناها مهما تقدم الانسان

وتطورت الحياة فقوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) تعبير بالغ غاية الكمال وجامع لكل أساليب الحكمة فهو يطلب من رسول الله الذي هو قدوة الناس في الحياة أن يكون دفاعه موسوماً بأحسن ما يقتضيه موقفه الراهن ، ويمليه عليه واقعه الذي هو فيه . فكل دفاع يكسبه نصراً ويضمن له نجاحاً فهو حسن . و كذلك قوله تعالى : -

(ان الارض يرثها عبادي الصالحون) ان هذه الآية قانون طبيعي لا يبطله الزمن ولا تغيره الاحوال، فسيطرة الانسان على الارض واستفادته منها كل ذلك موقوف على مقدار صلاحه لها وتمكنه من استغلالها ، فهل يستطيع أحد أن يقول ان طائفة من الناس أو أمة من الأمم تملك شيئا يوما ما وتدوم ملكيتها له وهي غير قادرة على صيانته وحمايته وغير صالحة لامتلاكه ؟ لا نجد من يقول ذلك و كذلك قوله تعالى : -

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ومعنى الآية ان الناس اذا لم تعجبهم حالهم وأرادوا تغييرها بحال أخرى أفضل منها فلا يستطيعون ذلك مالم يغيروا ما في أنفسهم من خلائق ويبدلوا ما في سلوكهم من اعوجاج .

٥ - ان أحكام التشريع الاسلامي أحكام قائمة على مراعاة الفضائل العامة من الحق والعدل والصدق والامانة والوفاء . ولم تكن هذه الفضائل مجرد أقوال تتردد في المحافل الخاصة والعامة وانما صارت بفضل الاسلام ديناً يتقرب به الى الله وسجية من

سجاياهم الراسخة ، وكذلك كان مقتهم للرذائل فهم يكرهونها ويكرهون المتخلقين بها فالظلم والغدر والخيانة والخداع ونقض المواثيق خصال تنذر بالويل والثبور للافراد والجماعات والامم .

قال الله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) سورة النساء الاية ٥٨ .

وقال تعالى : (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) سورة الاسراء الاية ٣٥ .

وقال تعالى : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) سورة البقرة الاية ١٨٨ .

وقال رسول الله ﷺ : اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة.

وعن سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ قوله : دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة .

٦ - للرأي العام في التشريع الاسلامي منزلة عظيمة ومقام محمود . فهو مصدر تشريع يمكن الاعتماد عليه والاخذ به اذا كان ذلك الرأي مما تستقيم به الامور وتنصلح به الاحوال ويكون حينئذ السكوت على الباطل مدعاة الى تسرب الخلل والوهن الى أصول الاجتماع . ولقد ذكر بعض الفقهاء ان الرأي العام هو الحارس

اليقظ لكيان الأمة اذا كان مبنياً على بصيرة في القصد ووحدة في الهدف وهو السلطة التي تقوّم الحكام والافراد وهو أمضى سلاح للقضاء على الآفات الاجتماعية . ولذلك عُني به الاسلام وجعله كرقيب يهذب من شذوذ الفرد ويحدّ من غلو الجماعة حتى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اكبر عزائم التشريع الاسلامي وأعظم أسس الحياة الاجتماعية . الصالحة . قال رسول الله ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليقوّمه بيده وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) .

نعم ان لقول الحق تأثيراً كبيراً في الناس وان فيها خدمة خالصة للقائمين على مصالح الأمة . فاذا صدق الناصح في أمر دينه كفاه الله أمر دنياه واذا تقبلها ذوو السلطان بقلب عامر بالايمان والاخلاص كفاهم الله ما بينهم وبين الناس . ومن جميل ما يروى أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي قدم المدينة للزيارة وبعث الى أبي حازم . فلما دخل عليه قال تكلم يا أبا حازم قال :

« نعم اتكلم يا أمير المؤمنين ، لا تأخذ الاشياء إلا من محلها ، ولا تضعها إلا في اهلها ، قال الخليفة : ومن يقوى على ذلك ؟ قال من قلدّه الله من امر الرعية ما قلدّك . قال عظني يا أبا حازم قال : اعلم ان هذا الأمر لم يصل اليك إلا بموت من كان قبلك قال مالك لا تجيء الينا ؟ قال : وما اصنع بالمجيء اليك يا أمير

المؤمنين ؟ ان أدنيتني فتنتني وان اقصيتني اخزيتني وليس عندك ما أرجوك له ولا عندي ما اخافك عليه . قال فارفع الينا حاجتك قال رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلتُ وما منعني رضيت » هكذا يربي الشرع الاسلامي الذين يأخذون انفسهم به ويتخلقون بأخلاقه . اما اذا ضعف دينهم وفسدت ضمائرهم ولم يصدقوا أولي الأمر ولم ينبهوهم الى الحق ضاع العدل بينهم واصبحوا على شفا جرف من العذاب .

٧ - ان التشريع الاسلامي يهدف دائماً وابداً الى التربية النفسية ، والى احياء ضمير الفرد والامة ويعلم الناس كيف يحكمون انفسهم بأنفسهم وما اقامة الصلاة في اوقاتها إلا اسلوب تربوي يرقق الحس ويهذب النفس ويجعل منها عليها رقيبا . فالذي يناجي ربه خمسة اوقات صادقا في نجواه ليس سهلًا عليه ان يزيغ عن الحق ، ويتبع شهوات نفسه ، ويبيع آخرته بدنياه ، فيستبدل الذي هو شر بالذي هو خير .

فالتشريع الاسلامي يجعل من الناس ناسا شعارهم في الحياة ان يؤثروا على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة . ودعاؤهم فيها (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) سورة آل عمران الآية ٨ .

هكذا علمنا الاسلام أن ندعو الى غاياتنا بأكرم اسلوب واجمل تعبير وأشرف وسيلة . علمنا ان ندعو الى سبل الخير بما تنفتح له القلوب المقفلة وتتسع به العقول الضيقة وتستجيب له الطبائع السليمة . لقد ميز الله الانسان عن جميع مخلوقاته بالعقل المدرك

والشعور المرهف ، والضمير الحي ، وجعله خليفة له في الارض ، يتصرف في كثير من شؤونها بحسب ارادته ، خصه بكل ذلك لتكون افعاله حسنة كخلقته ، وتصرفاته حكيمة كعقله ، وغاياته نبيلة كضميره لا تهدف إلا الى الاصلاح ولا تتوخى إلا النفع العام . الانسان بحكم تلك المواهب اللدنية التي اودعها الله فيه جدير ان تكون افعاله فوق مستوى الشبهات واسمى من افعال سائر الكائنات . وإلا فما الفرق بينه وبين العجماوات اذا كان يستبيح لنفسه ان يفتك بأخيـه الانسان ، فيسلبه ماله ودمه وعرضه لمجرد رغبة في نفسه ، ونزوة في جبلته ، كما تفعل الامم الاستعمارية اليوم .

الفصل الخامس

أسماء القرآن وموارد اشتقاقها

القرآن مصدر قرأ . تقول : قرأ الشيء يقرؤه قرءاً وقراءة أو قرآنا . بمعنى جمع الشيء المقروء وضم بعضه الى بعض .

(دائرة المعارف لفريد وجدي مادة قرأ) .

والقرآن الكريم اسم عَلم لكتاب الله المنزل على رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ . وهو آخر الكتب السماوية قال تعالى : (إنا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) سورة يوسف الاية ٢ .

ويسمى الذكر لقوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون) سورة النحل الاية ٤٤ .

ويسمى الفرقان لقوله تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) سورة الفرقان الاية ١ .

ويسمى الكتاب لقوله تعالى : (وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) سورة النساء الاية ١١٣ .

ومن اسمائه التنزيل لقوله تعالى : (وانه لتنزيلُ رب العالمين) سورة الشعراء ١٩٢ .

(هـذه الاسماء هي الشائعة المشهورة . غير أن بعضهم بالغ في تعداد اسماء القرآن حتى ان بعضهم أوصلها الى خمسة وخمسين اسماً وبعضهم أوصلها الى نيف وتسعين . ولا ريب انهم جمعوا بين التسمية والوصف)[1] .

تفسير القرآن

التفسير لغة : هو الايضاح والتبيين والكشف عن المعاني .

واصطلاحاً : هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، واحكامها ، الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة الافراد والتركيب[2] .

وعرفه الزركشي : بأنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج احكامه وحِكمه[3] .

وقال بعضهم : التفسير علم يُبحث فيه عن احوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[4] .

وعرفه بعضهم ايضاً : بأنه علم نزول الايات ، وشؤونها واقاصيصها والاسباب التي دعت الى نزولها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ، ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وامرها ونهيها ، وعبرها وامثالها[5] .

---

(١) كتاب مباحث علوم القرآن ص ١٢ للدكتور صبحي الصالح .
(٢) ابو حيان التوحيد فى البحر المحيط .
(٣) كتاب الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٧٤ .
(٤) كتاب منهج الفرقان جـ ٢ ص ٦ .
(٥) الاتقان جـ ٢ ص ١٧٤ .

هل فسر الرسول القرآن لفظا ومعنى

بالنظر لقوله تعالى : (وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس مانزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون) .

فان منطوق الاية الكريمة يقضي بأن الرسول قد بين للناس جميع القرآن معانيه وألفاظه ، وأوامره ونواهيه ، قصصه واحكامه وإلا كان (حاشاه عن التقصير) مقصراً في البيان الذي كلفه الله به .

وكقوله تعالى : (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

ولكن من القرآن الكريم ما هو واضح معروف لدى أصحاب النبي بطبيعة معرفتهم بأسرار اللغة العربية . ومنه ما هو محتاج الى البيان والتوضيح .

من هنا جاز لنا أن نقول : ان الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ، كان يفسر الغامض الذي يحتاج الى التفسير ويترك ما لا يحتاج اليه .

ذكر الاستاذ محمد حسين الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) (الجزء الاول) ان عبدالله بن حبيب التابعي المقرىء المتوفى سنة ٧٢ هـ . قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن الكريم كعثمان بن عفان ، وعبدالله بن مسعود ، وغيرهما ، انهم كانوا اذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

= لقد وردت هذه التعاريف جميعها في كتاب التفسير والمفسرون للاستاذ محمد حسين الذهبي جـ ١ ص ١٤ و ١٥ .

ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة حتى يحفظوا السورة . ثم ذكر الاستاذ الذهبي ما اخرجه الامام احمد وابن ماجه . عن عمر رضي الله عنه انه قال :

من آخر ما نزل آية الربا . وان رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها . وهـذا يدل بالفحوى على انه كان يفسر لهم كل ما نزل ، وانه انما لم يفسر هذه الاية لسرعة موته بعد نزولها ، والالم يكن للتخصيص بها وجه .

وكل ما ذكرنا من لزوم فهم القرآن ضرورة لا ينفي ان فيه مالا يعرف معناه لأمر لا يعلمه إلا الله . فأبقاه سبحانه وتعالى سراً مطوياً في قبضة الغيب حتى يأتي الزمن الذي ينكشف فيه عنه الغطاء للناس فيتدبروه ، ويعلموه بحسب الحاجة ، وعن طريق الاجتهاد ، مثل قوله تعالى : (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) سورة الزمر الاية ٦٨ . وكقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) سورة طه الاية ٦ .

فان العقل البشري لا يستطيع أن يصور لنفسه الكيفية التي تكون الارض والسماوات مطويات في قبضته ، كما لا يستطيع أن يمثل لنفسه مثالا للرحمن مستولياً على عرشه دون أن يجسد الذات الالهية تجسيداً يهوى بنا الى هوة الشرك والضلال . العياذ بالله .

ومثل هذه الآيات التي لم يعرف معناها بالضبط فواتح السور كقوله تعالى :

كهيعص ، وحم عسق ، وطسم ، والمص ، والمر ، والم ، وغيرها . فهي الاخرى من الالفاظ القرآنية المختلف في معانيها .

جاء في تفسير فضيلة الاستاذ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر ص ٦٩ قوله :

ان في فواتح بعض السور سراً تقصر دون ادراكه العقول، لانه صنع الحكيم الخبير الذي لايضيع أمراً على محض المصادفة ثم قال :

ولعل من الخير للناس أن يوفروا على انفسهم عناء البحث في معاني هذه الحروف ، واسرار ترتيبها ، واختيارها على هذا النحو . وان يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل الى علمه ، ولم يكلفهم الله به ، ولم يربط به شيئاً من احكامه أو تكاليفه . وحسبهم ان يعرفوا ان الاتيان بهذه الفواتح على هذا الاسلوب الذي لم يكن مألوفاً في الكلام ، ولا معروفاً عند العرب ، كان قرعاً لاسماع اولئك الجاحدين وكان هزاً لقلوبهم ودفعاً بهم الى القاء السمع وتدبر ما يُلقى اليهم .

مميزات التفسير في المرحلة الاولى

ذكر الاستاذ الذهبي في الصفحة ٧٩ من كتابه التفسير والمفسرون ان التفسير في هذه المرحلة يتصف بالصفات الاتية :

اولا - ان القرآن لم يفسر جميعه وانما فسر منه ما غمض فهمه . وهذا الغموض كان يزداد كلما بعد الناس عن عصر النبوة والصحابة . فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد هذا الغموض الى أن تم تفسير آيات القرآن جميعها .

ثانياً - كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنى الاجمالي ، ولا يلزمون انفسهم

بتفهم معانيه تفصيلا . فيكفي ان يفهموا من مثل قوله تعالى وفاكهة وابا انه تعداد لنعم الله تعالى على عباده .

ثالثاً - ندرة الاستنباط العلمي للاحكام الفقهية من الايات القرآنية وعدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء في كتاب الله نظراً لاتحادهم في العقيدة . ولأن الاختلاف المذهبي لم يقم إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم .

رابعاً - لم يدوّن شيء من التفسير في هذا العصر . لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني ، وأما تفسير عبدالله بن عباس فانه لا تصح نسبته اليه بل جمعه الفيروزابادي ونسبه اليه معتمداً في ذلك على رواية غير مقطوع بصحتها ، من أهل العلم اليقيني في الشؤون القرآنية .

خامساً - لم يتخذ التفسير في هذه المرحلة شكلا منظماً بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لايات متفرقة كما كان الشأن في رواية الحديث .

أكابر المفسرين من أصحاب الرسول

علي بن أبي طالب وتفسيره :

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول من أسلم من الأحداث ، وحامل راية الاسلام في موقعة خيبر ، وهو الذي دعا له الرسول بقوله : (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه) وهو الذي قال له الرسول : أنت أخي في الدنيا والاخر، ، ثم هو رابع الخلفاء الراشدين .

كان أبو الحسن بحراً في العلم فذاً في قوة البيان ذا عقل قضائي، وكثيراً ما كان يرجع الصحابة اليه في فهم ما خَفيَ عليهم من الامور. قيل لعطاء أكان في اصحاب محمد أعلم من عليّ ؟ قال : لا والله . لا أعلمه ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال : اذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه الى غيره . وقال : كان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل ، وجميع ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

عبدالله بن عباس وتفسيره

ابن عباس فتى من فتيان بيت النبوة . له قريحة وقادة ، وعقل راجح ، وايمان راسخ ، ودين متين . ولقد اثنى عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فقال : ان ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق . وكذلك اثني عليه بن عمر فقال : ان ابن عباس من أعلم أمة محمد بما نزل على محمد . ويقول عنه تلميذه مجاهد ان ابن عباس اذا فسر الشيء رأيت عليه النور .

روى الاعمش عن أبي وائل ان سيدنا علياً استخلف عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما على الموسم فقرأ في خطبته سورة البقرة ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا ، وكان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة مع حداثة سنه ، وكان اذا جاءته الاقضية المعضلة يرسل اليه ويقول له فأنت لها ولأمثالها . وكان ابن عباس رضي الله عنه يلقب بالحبر وبالبحر لكثرة علمه بمعاني القرآن .

له جزء كبير في تفسير القرآن ، طبع بمصر مراراً باسم تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي صاحب كتاب القاموس .

عبدالله بن مسعود وتفسيره

هو عبدالله بن مسعود من اوائل أصحاب النبي لزم بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظن انه من أهل البيت ، هاجر الى الحبشة ، وصلى الى القبلتين ، وشهد بدراً وأحداً وبيعة الرضوان . وشهد موقعة اليرموك بعد وفاة رسول الله ﷺ . وكان من أحفظ الصحاب لكتاب الله ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع منه القرآن . وقد اخبر بذلك عن نفسه فقال : قال لي رسول الله : اقرأ عليّ سورة النساء فقرأتها حتى اذا بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فاضت عيناه ﷺ .

ولما سيره عمر رضي الله عنه الى الكوفة كتب الى أهلها اني قد بعثت عمار بن ياسر اميراً وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما واطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي .

ولما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفة حضر عنده قوم ، وذكروا له ابن مسعود . فقالوا له : يا أمير المؤمنين ، ما رأينا رجلًا احسن خُلقاً ، ولا ارفق تعليما ، ولا احسن مجالسة ، ولا أشد ورعاً من ابن مسعود ، قال علي رضي الله عنه : انشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم . قال : اشهدوا اني اقول ما قلتم وافضل .

وصح عن ابن مسعود انه قال : اخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة . وقال مسروق : كان عبد الله بن مسعود يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار .

وعلى الجملة فان ابن مسعود من اعلم الصحابة بكتاب الله تعالى واعرفهم بمحكمه ومتشابهه ، وحلاله وحرامه ، وقصصه وامثاله واسباب نزوله . قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه . فقيه في الدين عالم بالسنة بصير بكتاب الله .

* * *

هذه هي صفات المرحلة الاولى من تفسير القرآن في عصر النبوة والصحابة أما تفسير القرآن في مرحلته الثانية فقد جعلها العلماء في عصر التابعين الذي تلقوا غالب معلوماتهم عن الصحابة عن الرسول فتفسير هؤلاء الاجلاء هو ايضاً لم يأخذ شكله الكامل ، بل ظلت تتناقل عن طريق الرواية حتى جاءت المرحلة الثالثة . وهي مرحلة التدوين . تلك المرحلة التي اخذ الناس يدونون التفاسير من افواه الثقات ويتوسعون فيها على مرّ العصور حتى بلغت الدرجة التي بلغتها كتب التفسير المتداولة بين ايدي المسلمين . وسيظل هذا التوسع آخذاً طريقه حتى يبلغ الكتاب محله . وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولا .

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين سعيد بن جبير ومجاهد بن جبر . وعكرمة مولى بن عباس من اهل المغرب . وطاووس بن كيسان اليماني . وعطاء بن ابي رباح . وزيد بن اسلم ، ورفيع بن مهران الرياحي . ومحمد بن كعب القرظي . وعلقمة بن قيس ، ومسروق بن

الاجدع الهمداني الكوفي . وعامر الشعبي ، والحسن البصري. وقتادة ابن دعامة السدوسي .

أما كتب التفسير المأثورة التي الفت في عصر التدوين :

١ — جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري . المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

٢ — بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـ .

٣ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي اسحق الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ .

٤ — معالم التنزيل لأبي محمد الحسين البغوي المتوفى سنة ٥١٠ هـ

٥ — المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيـة الاندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ .

٦ — تفسير القرآن العظيم لأبي الفـداء الحافظ بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

٧ — الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٦ هـ .

٨ — الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

الفصل السادس

ظـاهرة الوحي

الوحي لغـة الاشارة والايمـاء والكلام الخفي ، وفي التنزيل العزيز (فأوحى اليهم أن سبحوا بُكرة وعشيا) سورة مريم الآية ١١

وقوله تعالى : (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) سورة المؤمنون الآية ٢٧ . وقوله تعالى : (واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً) سورة النحل الاية ٦٨ . وقوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء انه عليّ حكيم) سورة الشورى الاية ٥١ .

والوحي في اصطلاح علماء الشرع هو كلام الله تعـالى المنزل على نبيّ من انبيائه .

ونقل المرحوم محمد فريد وجدي في دائرة المعارف عن رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ان الوحي عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة ، وبصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت .

والفرق بين الوحي والالهام . هو ان الالهام وجدان تستيقنه

النفس ، وتنساق الى ما يطلب على غير علم منها من أين اتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش ، والحزن والسرور [1].

واما امكان حصول هذا النوع من العرفان وانكشاف ماغاب من مصالح البشر من عامتهم لمن يختصه الله بذلك وسهولة فهمه عند العقل فلا اراه مما يصعب ادراكه ، إلا على من يريد أن لا يدرك ، ويحب ان يرغم نفسه الفهامة على أن لا تفهم .

ثم ان درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً ، وان الأدنى منها لايدرك ماعليه الاعلى ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعاليم فقط ، بل لابد معه من تفاوت فى الفطر التي لايدخل فيها الاختيار إذ أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه ، ولا تزال المراتب ترتقي فى ذلك الى مالا يحصره العدد . وان من أرباب الهمم وكبار النفوس من يرى البعيد قريباً فيسعى اليه ثم يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون منه عند بلوغه النهاية . ثم يألفون ما صار اليه كأنه من المعروف الذي لاينازع فيه . وما صعود بعض الناس فوق القمر إلا دليل قاطع من الأدلة على ان فى الامكان ان يتحقق أمر لم يكن فى الحسبان تحققه ، وهكذا شأن الوحي لدى الانبياء والمرسلين .

انه التجلي الالهي فى اروع مراتب الاتصال واقدس وسائل الالهام .

---

(١) الجزء العاشر من دائرة المعارف لفريد وجدي ص ٧٠٧ فى مادة الوحي .

بعض الاحاديث التى وردت

عن كيفية الوحي

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة رضي الله عنها . فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني . فقال : اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلني . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) سورة الفلق الآية ٢ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده . فدخل على خديجة رضي الله عنها . فقال : زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ، واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة : كلا والله لايخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة الى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت له : يا ابن عم ،

اسمع من ابن اخيك ، فقال له ورقة : يا ابن اخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى . فقال ورقة : هذا الناموس الذي انزله الله على موسى . ليتني اكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أومخرجيّ هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عُودي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً . [1]

ومجمل القول في معنى الوحي وصفته تتلخص في أربع مراتب :

المرتبة الأولى : أن يخاطب النبي أو الرسول في النوم ، وتلك هي الرؤيا الصادقة كما ورد عنه عليه افضل الصلاة والسلام في قوله : (رؤيا الانبياء وحيٌ . ونحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) . [2]

المرتبة الثانية : أن يلقي ما يراد القاؤه على قلبه من غير وساطة وهو يقظان ، وذلك هو المسمى بالالهام . ويستدلون بقوله تعالى في الكتاب (نزل به الروح الامين على قلبك) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

المرتبة الثالثة : أن يرسل الله اليه رسولا يخبره بما يريد اعلامه اياه ، وهو المسمى بالملك ، فيحدثه ، ويصف القرآن هذا الرسول بقوله : (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم امين) سورة التكوير الآية ٢٠

المرتبة الرابعة : ان الله سبحانه وتعالى يُسمع رسله كلامَه

---

(١) دائرة للمعارف لفريد وجدي جـ ١٠ ص ٧١٢ .

(٢) تاريخ الامم الاسلامية لمحمد الخضري ج ١ ص ١٠٢ .

مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام مستدلين بقوله تعالى :

وهل اتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا اني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما اتاها نودي يا موسى : اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى) سورة طه الآية ١٢ .

الفصل السابع

تنجيم القرآن

يراد بتنجيم القرآن نزوله على النبي ﷺ في اوقات متفرقة وفي امكنة متعددة جرياً على سنة التطور الذي تخضع له جميع الاشياء صغيرها و كبيرها . فالحيوانات والنباتات والجمادات تجري وفق هذا الناموس الاعظم .

والانسان ليس بدعاً عن هذه الكائنات فهو جزء منها ينشأ بسيطاً ساذجاً ثم يأخذ في النمو شيئاً فشيئاً حتى يبلغ كماله .

قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سُلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين) سورة المؤمنون الآية ١٥ .

ومثل بدن الانسان في هذا التطور عقله وغرائزه ومعتقداته مصداق ذلك قول الله تعالى على لسان سيدنا ابراهيم :

(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين . فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً ، قال : هذا ربي . فلما أفل قال : لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي فلما أفل

قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالمين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي ، هذا اكبر ، فلما أفلت قال : يا قوم اني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) سورة الانعام الآية ٧٩ .

وعلى هذه السنة الكونية انزل الله الاديان تباعا يكمل بعضها بعضا واتمها بدين الاسلام وختمها برسالة خاتم النبيين ورسول رب العالمين. قال تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا) سورة المائدة الاية ٥ .

نستشف من خلال هذه الايات الكريمة طفولة الانسان في معتقده وتدرجه فيه واتخاذه عدة ارباب من دون الله من عبادة النجم الى عبادة القمر الى عبادة الشمس .

ولو تعمقنا في تاريخ الاديان واطلعنا على الادوار القديمة التي سبقت عهد سيدنا ابراهيم لعلمنا ان الانسان مرت عليه ملايين السنين كان يتنقل فيها بين انواع من الديانات ، وانماط من العبادات ، وظل في هذه المتاهة ادهاراً طويلة حتى انزل الله على الانسان عن طريق الانبياء الزبور والتوراة ، ثم الانجيل ، ثم الفرقان . ذلك لأن الله أعلم بمقتضيات الاحوال ، وأدرى بما تتحمله النفوس البشرية من التغيير ، والتبديل ، والتطور ، ولاسيما فيما يتعلق بالشؤون العقائدية .

وعلى هذا الاساس من التدرج والتطور في التشريع انزل الله كتابه العزيز على رسوله الامين منجما بحسب الواقع والاحداث ليكون الرسول على اتصال دائم بهذا الاشراق الالهي ، فيقوى به قلبه ، وتشتد عزائمه ، ويصدع بدعوته ويصمد في جهاده قال تعالى :

(وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) . سورة يوسف الآية ١٢١ .

وقال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدي القوم الكافرين) سورة المائدة ٧١ .

هذا من جهة الرسول صلوات الله وسلامه عليه . أما من جهة من وجهت اليه الدعوة من الناس فان التدرج في تبليغ الرسالة اليهم يبعد عنهم المشقة ، ويخفف عنهم التكاليف ، ويسهل عليهم مؤنة القبول . لأن الاوامر والنواهي اذا جاءت جملة واحدة قد تحدث في النفوس عجزاً عن القيام بها والنهوض بأعبائها . بل ربما تحدث ردّ فعل قوي يؤدي الى عكس المطلوب ، مصداق ذلك ما اخرجه البخاري عن السيدة عائشة أم المؤمنين انها قالت : انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل . فيها ذكر الجنة والنار . حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء (لا تشربوا الخمر) لقالوا لا ندع الخمر ابداً . ولو نزل (لا تزنوا) لقالوا لا ندع الزنا ابداً .[1]

وهذه حقيقة تؤيدها العلوم الحديثة المعنية بعلوم النفس وعلوم الاجتماع وغيرها .

وتمشياً مع هذه الحقيقة الكبرى اقتضت سنة الله تعالى أن ينزل آيات كتابه الكريم متفرقة في ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة

---

(١) فى تفسير المنار ج ٢ ص ٢١٩ و ج ٧ ص ٤٩ الحكمة فى تحريم الخمر بالتدريج

وعشر سنين في المدينة المنورة . وسموّ الايات التي نزلت قبل الهجرة مكية وعددها ثلاث وتسعون سورة . والايات التي نزلت بعد الهجرة سموها مدنية وعددها اثنتان وعشرون سورة . ومنها اكبر سور القرآن وهي :

(٢) البقرة (٣) آل عمران (٤) النساء (٥) المائدة (٨) الانفال (٩) التوبة (٢٤) النور (٣٣) الاحزاب (٤٧) القتال (٤٨) الفتح (٤٩) الحجرات (٥٧) الحديد (٥٨) المجادلة (٥٩) الحشر (٦٠) الممتحنة (٦١) الصف (٦٢) الجمعة (٦٣) المنافقون (٦٤) التغابن (٦٥) الطلاق (٦٦) التحريم (١٠٠) النصر . وما عدا ذلك فهو مكي . وأهم ما جاءت به الايات المكية هو :

١ - التوحيد ورفض الاوثان والاصنام فلا يكون بين العبد وبين ربه واسطة .

٢ - اثبات يوم آخر يجازي فيه كل امرىء بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر .

٣ - تبيان الخصال والملكات في معاملة الناس بعضهم مع بعض .

٤ - عبادات عملية تربطهم بالله وتوجههم نحو الخير .

٥ - الأذن له ﷺ بالجهاد وقتال المشركين الذين اصرّوا على الكفر ووطدوا انفسهم على محاربة الرسول .

اسباب النزول

ان معرفة نزول الايات القرآنية ضرورية جداً لانها تلقى ضوءاً قوياً على فهم المعني ، وتكشف لنا عن حقيقة القصد المراد من بعض آيات التنزيل .

جاء في كتاب مباحث علوم القرآن نقلاً عن كتاب الاتقان ج ١ ص ٤٨ ان ابن تيمية قال : معرفة سبب النزول يعين على فهم الاية . فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب ، وقال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الاية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

وقال ابن دقيق العيد : معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن . انتهى .

على ان كثيراً من الايات الكريمة انزلت ابتداءاً دون ان يكون هناك سبب للنزول غير الارادة الربانية ، كالايات المشتملة على قصص الأمم الغابرة ، او وصف بعض الوقائع الماضية ، أو الاخبار الغيبية المستقبلة ، أو تصوير قيام الساعة ، أو مشاهد القيامة ، أو وصف احوال النعيم والعذاب .

وأعود فأقول ان معرفة هاتيكم الاسباب فضلاً عن فوائدها الايجابية في فهم المعاني القرآنية لا تدع مجالا لتشويه الاحداث وتزييف حقائق التاريخ ، والنيل من جوهر الاسلام ومكانة رجالاته . ولذلك عُني كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم بأسباب النزول . فمن الذين عُنوا من الصحابة أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد ، وخالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص ، وابوهريرة وعبدالرحمن بن عوف ، وابو عبيدة عامر بن الجراح وبلال الحبشي، وعمار بن ياسر ، والارقم بن اسد المخزومي ، وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعاصم بن عدي ، وابن مسعود ، وزيد بن حارثة ،

والسيدة خديجة بنت خويلد والسيدة أم سلمة ، والسيدة عائشة الصديقة أمهات المسلمين رضي الله عنهم وعنهن اجمعين .

أما الذين عُنوا بمعرفة اسباب النزول من التابعين فمنهم : عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، والضحاك .

ان هؤلاء الاجلاء بعض من صح اخذهم عن الصحابة ، وغيرهم كثير .[1]

والآيات المنزلة لاسباب لا يمكن الاحاطة بها ، لكثرتها من جهة ، واختلاف العلماء في اسبابها من جهة اخرى . ثم ان الآيات المسببة يجب أن تكون متضمنة له أو مجيبة عنه ، أو مبينة لحكمه ايام وقوعه .

قال الواحدي في اسباب النزول (ولا يحل القول في اسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الاسباب ، وبحثوا عن علمائها) .

وعلماء السلف الصالح كانوا يتشددون كثيراً في الروايات المتعلقة بأسباب النزول . فهذا محمد بن سيرين البصري المشتهر بالحديث وتعبير الرؤيا الذي كان امام عصره في علوم الدين . يقول : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : (اتق الله ، وقلْ سداداً . ذهب الذين يعلمون فيم أُنزل القرآن) .

ويقول الدكتور صبحي الصالح صاحب كتاب مباحث في علوم

---

(١) كتاب الاتقان فى علوم القرآن ج ١ ص ٥٣ .

القرآن : ان هذا الورع لم يكن ليمنعهم من قبول اخبار الصحابة في مثل هذه الموضوعات . وحجتهم في هـذا لا تقبل الجدل . فهم يرون ان قول الصحابي (فيما لا مجال للرأي و الاجتهاد فيه . بل عمدته النقل والسماع) محمول على سماعه من النبي ﷺ . لأنه يبعد جداً ان يقول ذلك من تلقـاء نفسه . ولذلك قرر الحاكم وابن الصلاح وغيرهما في علوم الحديث ان الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل اذا اخبر عن آية انها نزلت في كذا فانه حديث مسند ، له حكم الحديث المرفوع .

وليس من الرواية الصحيحة في هـذا المجال قول التابعي إلا اذا اعتضد بحديث مرسل آخر رواه احد أئمة التفسير الذين ثبت اخذهم عن الصحابة .

وعبارة الرواية الصحيحة في سبب النزول اما نص في بيـان السبب و اما مُحتملة له ولسواه . فاذا صرح الراوي بلفظ السبب فقال (سبب نزول هذه الاية كذا) (أو سُئل عليه السلام عن كذا ، فنزلت آية كذا) فذلك نص واضح في السببية واما اذا قال احـد الراويين (نزلت الاية كذا) غير مصرح بلفظ السببية ، وقال الآخر (سبب نزول الاية في كذا) بهذا النص الصريح فان المعول عليـه ما كان نصاً فهو أولى بالتقديم مما كان محتملاً .

الفصل الثامن

جمع القرآن وكتابته وحفظه

كان القرآن الكريم زمن رسول الله ﷺ مكتوبا في الرقاع ، والعسب ، واللخاف ، والاقتاب . ومحفوظا في صدور القراء ، ولم تكن أية آية من آياته محل شك في ورودها أو ريبة في نزولها ، بل ظل محفوظا بوسائل حفظه القاطعة لكل ريبة ، النافية لكل شبهة ، لم تذهب منه كلمة ولم يزد عليه حرف ، ولم يزل كذلك محفوظا برعاية منزله الى يومنا هذا ، ولا يزال كذلك الى يوم الدين لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون) وبعد ان توفى رسول الله ﷺ حدثت معارك بين المسلمين واهل الردة في اليمامة ، واستشهد من حفظته سبعون صحابياً . فهال ذلك كبار الصحابة وظلوا في حيرة وارتباك من كثرة من قتل من شهداء القراء ، حتى شرح الله صدورهم لجمعه .

وفي ذلك يروى البخاري في صحيحه ان زيد بن ثابت أحد كتاب الوحى رضي الله عنه قال :

أرسل الى أبو بكر الصديق مقتل اليمامة ، وقال لي : ان عمر أتاني فقال : ان القتـل قد استحر بقراء القرآن ، وانى اخشى أن يستحر القتل بهم اكثر فيذهب كثير منهم . وانى ارى أن تجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هو والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك رأي عمر . قال زيد : ثم قال لي أبو بكر انك رجل شـاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . قلت لأبي بكر : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : والله هو خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين لم أجدها مع غيره[1] (لقـد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا فقل حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سورة التوبة الآية ١٢٩ . وفي ذلك يقـول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنـه : رحم الله أبا بكر هو أول من جمـع كتاب الله بين اللوحين .

وهكذا جمعت الصحف لأول مرة ، وبقيت عند ابي بكر حياته ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة حياتها .

---

(١) البرهان : ١ / ٢٣٤ .

القراء :

جاء في كتاب القراءات المنسوب الى ابي عبيدة أن القراء الاوائل الذين تيسر لهم حفظ القرآن ، وعرضوه على النبي هم الخلفاء الاربعة ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالم ، وأبوهريرة وعبدالله بن السائب ، والعبادلة الاربعة المشهورون ، وهم عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وامهات المؤمنين ، عائشة وحفصة وأم سلمة ، وهؤلاء جميعاً من المهاجرين .

أما الذين هم من الانصار فهم عبادة بن الصامت ، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ، ومجمع بن جارية ، وفضالة بن عبيد ، ومسلمة بن مخلد . وقد اشتهر باقراء القرآن من الصحابة الكرام سبعة عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبدالله ابن مسعود ، وابو الدرداء ، وابو موسى الاشعري .(1)

كتاب الوحى :

كان النبي ﷺ قد اتخذ للوحي كتاباً فيهم الخلفاء الاربعة ، ومعاوية ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وخالد بن الوليد ، وثابت ابن قيس ، وكان يأمرهم بكتابة كل ما ينزل من القرآن حتى تظاهر الكتابة الحفاظ على جمع القرآن في الصدور .

يؤيد ذلك ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط

---

(1) كتاب مباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٧٢ عن كتاب الاتقان للسيوطي ١ / ١٣٤ .

الشيخين عن زيد بن ثابت انه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع .

ومعنى تأليف القرآن من الرقاع ترتيب السور والآيات وفق اشارة النبي ﷺ وتوقيفه كما وقّفه جبريل عليه السلام على ترتيبها ولا خلاف في ذلك .[1]

(١) كتاب مباحث علوم القرآن ص ٧٤ .

المحكم والمتشابه من آياته

المحكم في لغة العرب - المتقن الذي لايتغير معناه . وأما المحكم من آيات القرآن فهو تلك الآيات الواضحة المفهومة التي لاريب ولا شبهة للناس في معناها . والتي لا تحتاج الى تفسير أو تأويل .

وأما المتشابه من الآيات فهـو تلك الآيات التي لم يفهم معناها بمجرد قراءتها ، ففيها المجمل الذي يحتاج الى تفصيل ، وفيـها المؤول الذي يحتاج الى تأويل ، وفيها المشكل الذي لا يفهم معناه مطلقـاً لشدة لبسه وابهامه لحكمة ، الله أعلم بها قال تعالى : (هو الذي انزل عليك الكتاب ، منـه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عنـد ربنا ، وما يذّكروا إلا أولو الالباب) سورة آل عمران الآية ٧ .

فمثال الآيات المحكمة التي يستطيع عامة الناس الذين يحسنون القراءة في اللغـة العربية فهم معناها . قوله تعـالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) سورة الفرقان الآية ٦٤ .

وكقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) سورة الحجرات الآية ٦ .

وكقوله تعالى : (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم أشـد منهم

بطشاً ، فنقبوا في البلاد ، هل من محيص ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) سورة ق الآية ٣٧ .

وهكذا الفاظ الآيات المحكمة ، لا تحتمل غير معانيها الخاصة بها . ومحتواها لايتجاوز أبعد ما دلت عليها الفاظها . فهي نص صريح في الموضوع الذي نزلت من أجله .

أما المتشابه من آيات القرآن فهو تلك الآيات التي استأثر الله بعلمها فلا يصل أحد الى معرفة المراد منها .

(وخلاصته : ان المتشابه هو مايوهم ظاهره معنى لا يليق بجلال الله ولا يتفق مع دلالة المحكم في تنزيه الله عن صفات الحوادث) .[1]

ومن أمثلته قوله تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) سورة الرحمن الاية ٣٧ . و كقوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم (سورة الفتح الاية ١١ . و كقوله تعالى : (ولتصنع على عيني) سورة طه الاية ٤٠ .

ففي وجهه ويده وعينه تجسيد الذات الربانية وفيه ما فيه من خروج على تنزيه الله وجلاله .

---

(١) كتاب تفسير القرآن الكريم لفضيلة الاستاذ محمود شلتوت شيخ جامع الازهر ص ٦٦ .

الفصل التاسع

أعجاز القرآن

القول بأعجاز القرآن مبني على أسس عقلية ، ومنطقية لا يرقى اليها التفنيد ، ولا يقوى على تكذيبها ذوو الاغراض ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ثبت بالنص القرآني ان الله سبحانه وتعالى تحدى جميع فصحاء العرب وبلغائهم ان يأتوا بمثل هذا القرآن فلم يأتوا ، (قل لئن أجمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) سورة الاسراء الاية ٨٨ .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، ولو كانت مفتريات مخالفة للحق مجافية للواقع . فلم يأتوا ، (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا إله إلا هو فهل انتم مسلمون) سورة هود الاية ١٤ .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله ، فلم يأتوا ، ايضاً قال تعالى : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا

ولن تفعلوا ، فاتقوا النـار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) سورة البقرة الاية ٢٥ .

ومن اعجاز القرآن بيانه لنواميس الكون بشكل دقيق ثابت ما زال العلم يتابع هذا البيان ويكشف عن اسراره يوماً بعد يوم وفق منطوق القرآن ، ولا يتخلف عنه مهما طال عليه الأمد .

قال تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) سورة يسين الاية ٤٠ .

وكقوله تعالى : (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض ، إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مرّ السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، انه خبير بما تفعلون) سورة النمل الاية ٨٨ .

وكقوله تعالى : ألم تر ان الله يزجي سحاباً ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد ٍ فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار) سورة النور الاية ٤٣ .

تناولت هذه الايات الكريمة أعاظم مظاهر الكائنات ، واخبرتنا عن بعض انظمتها التي لا يأتيها الخلل بسبب قدرته البالغة حد الاعجاز .

فبين لنا في الايات الأولى كيفية تعاقب الشمس والقمر وهما

يسبحان في هذا الفضاء العظيم ، دون أن تدر كهما الفوضى والاضطراب

فالشمس تجري ، وتدور حول نفسها وفي فلكها الى أمد تنتهى اليه ،

ولا تتجاوزه ابـداً ، فكأنها تجري لادراكه ، حتى اذا ادركته

وانتهت اليه توقفت ، وكذلك القمر . فالله وحده هو العالم بأمرهما .

ذلك تقدير العزيز العليم .

وبين لنا في الثانية : كيف تُحسب الجبال جامدة ساكنة في رأي العين . وهى في الحقيقة والواقع تمر مرّ السحاب .

وهذا دليل على دوران الارض حول الشمس . وتلك نظرية علمية اثبتتها التجارب . هذا صنع الله الذي اتقن كل شيء واحكمه بارادته الربانية . انه خبير بما تفعلون .

ثم بين لنـا في الثالثة : كيفية نزول المطر والبرد من سحب كالجبال . فالكلمات يزجى ، يولف ، ركام ، ودق ، خلال ، من جبال فيها ، سنا البرق ، يذهب بالابصار — كلها اصطلاحات علمية دقيقة لا يستطيع انسان أن يجمعها في ثلاثة اسطر بهذا الاسلوب الرائع الموافق للعلم والواقع .

وآية ذلك ان قطرات الرذاذ النـازلة من السماء لا تنزل من الغيوم الرقيقة ، بل تحتاج الى جبال من السحاب حتى يتهيأ لها ان تصير برداً حين اختراقهـا طبقات الغيوم الكثيفة . وهكذا يزداد حجم الحبة كلما اخترقت طبقة . والبرق لايذهب بالابصار ، بل الذي يذهب بها هو سناه المتوهج الذي يعطل الطبقة الشبكية .

فنرى ان الحديث عن هـذه النواميس الكونية ليس هو إلا كلام شاهد عيان مطلع على هذه الاسرار . فقوله تعالى : فترى الودق

يخرج من خلاله ، ولم يقل من داخله أو من باطنه ، لأن حبة الودق ليست محفوظة في داخل أو في باطن ، بل هى كامنة خلال بخار السحاب تنتظر أوانها لتخرج وتصير ماءاً .[1]

معنى المعجزة ووجوه الاعجاز

المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة يظهره الله على يد النبي ، تأييداً لنبوته ، وتعجيزاً للذين يحاولون الاتيان بمثله .

أما معجزة القرآن فانها تظهر في اثره الانساني ، وتغييرها مجرى العقول والقلوب والافكار في مدة وجيزة ، اذهلت لقصرها رجال العلم والسيف والسياسة والقانون والاخلاق والاجتماع ، إذ لم يدخل في حسابهم ان مدة كهذه يستطيع فيها الانسان العربي ان يغيّر بهذا القرآن وجه التاريخ ويملك قلوب أمم كثيرة العدد قوية العُدد ويحبب اليها ان تهرع اليه وتخرج من كل ما ورثته من عادات وتقاليد وعقائد وترتمي في احضان القرآن تقرؤه صباح مساء وتؤمن به وتجاهد في سبيله .

قال صاحب كتاب الاتقان : اننا لا نسمع كلاماً غير القرآن منظوماً أو منثوراً اذا قرع السمع خلص له القلب لما فيه من اللذة والحلاوة ، والروعة والمهابة .

---

(١) كتاب الوحي والتنزيل ص ٢٢ لعبد المجيد شوقي البكري ، نقلا عن كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن ص ١٩ .

قال تعـالي : (لو انزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) .[1]

ثم قال : قال سراقة : اختلف اهل العلم في وجه اعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصوب ، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره .

فقال قوم : هو الايجاز مع البلاغة ، وقال آخرون : هو البيان والفصاحة ، وقال آخرون : هو الوصف والنظـم ، وقال آخرون : هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النـثر والشعر مع كون حروفه في كلامهم ، ومعانيه في خطاباتهم ، والفاظه من جنس كلماتهم حتى ان من اقتصر على معانيـه وغير حروفه أذهب رونقه ، ومن اقتصر على حروفه وغيّر معانيـه ابطل فائدته ، فكان في ذلك ابلغ دلالة على اعجازه .

وقال المرحوم مصطفى صادق الرافعي :

القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على اطـلاقه فهـو اثر من الاثار الالهية ، يشارك تلك الاثار في اعجاز الصنعة ، وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بأن له مادة من الالفاظ كأنهـا مفرغة افراغاً من ذوب تلك المواد كلهـا ، وما نظنه إلا الصورة الروحية للانسان ، اذا كان الانسان في تركيبه هـو الصورة الروحيـة للعالم كله .[2]

(١) كتاب الاتقان ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٥٧ .

ومما ينبغي ان نعلمه في موضوع المعجزة ان معجزات الله التي اظهرها على ايدي انبيائه كثيرة لا عداد لها ، كمعجزة سيدنا آدم حين خلقه من تراب . ومعجزة سيدنا نوح حين طغى الماء ، وحين غيض . ومعجزة سيدنا صالح يوم أمر قومه برعاية ناقة الله ، ويوم اخذتهم الرجفة . ومعجزة سيدنا ابراهيم حين ادخلوه النـار فكانت عليه برداً وسلاماً . ومعجزة سيدنا موسي حين القى بين السحرة عصـاه فاذا هي حية تسعى ، وحين ضرب بهـا البحر فانفلق البحر وظهرت فيه الجزر والممرات . ومعجزة سيدنا عيسي يوم ولد ويوم ابرأ الاكمه والابرص .

وهذه المعجزات قليل من كثير ، وهى كما ترى معجزات حسية لأن الناس فى تلك الأزمنة البعيدة لا يفقهون ، ولا يصدقون إلا الامور المادية ، ولا سيما اليهود فهم قوم ماديون .

أما أمتنا العربيـة فهي أمة ذات عقل وكمال تكفيها اللحظة وترشدها السكتة ويعجبها فن القول وتفلسف مرامي الكلام لذلك خصها الله بالمعجزة العقلية ، وجعل شريعتها باقية بقاء الليل والنهـار مستمرة الى يوم القيامة ، يراها أولو البصائر النيرة جيلاً بعد جيـل حتى قيام الساعة . فجعل معجزتها هـذا القرآن العظيم في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء ممـا اخبر به انه سيكون ، وهـذا اعظم دليـل على صدقه ، وصحة دعواه .

القراءات والقراء

القراءات انواع من التلاوة القرانية موافقة للغـة العربية ، ومتفقة مع المصاحف العثمانية بسند متواتر عن رسول الله ﷺ .

والقراءات سبعة انواع اشتهرت بين المسلمين عامة ، وصار الناس يقرأون بها القران الكريم .

١ ـ أخذ اهل مكة بقراءة عبد الله بن كثـير الداري الذي لقى من الصحابة انس بن مالك ، وعبدالله بن الزبير ، وابا ايوب الانصاري

٢ ـ وأخذ اهل المدينـة بقراءة نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الذي تلقى القراءة عن سبعين من التابعين الذين اخذوا القراءة عن أبي ابن كعب ، وعبدالله بن عباس ، وابي هريرة .

٣ ـ وأخذ اهل الشام بقراءة عبدالله اليحصبي" المشهور بابن عامر الذي اخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان بن عفان ، ولقي من الصحابة النعمان بن بشير وواثـلة بن الاسقع ، وقال بعضهم انه لقي عثمان بن عفان نفسه واخذ عنه القراءة .

٤ ـ وأخذ اهل البصرة بقراءة ابي عمرو بن العلاء وقد روى عن مجاهد ابن جبر وسعيد بن جُبـير عن عبدالله بن عباس وعن ابي بن كعب .

٥ ـ كما أخذ اهل البصرة بقراءة يعقوب بن اسحق الحضرمي ايضاً .

٦ ـ وأخذ اهل الكوفة بقراءة حمزة بن حبيب الزيات .

٧ ـ وأخذوا ايضاً بقراءة عاصم بن ابي النجود الاسدي . الذي قرأ على زر بن حُبيش الذي اخذ القراءة عن عبدالله بن مسعود .

ومما ينبغي ان نعلمه ايضاً انه لم تقبل قراءة احد من القراء إلا اذا ثبت اخذه عن من هو أعلى منه بطريقـة المشافهة والسماع حتى يتصل الاسناد بالصحابي الذي اخذ عن رسول الله ﷺ .

ومما هو جدير بالذكر ان قارىء القران لايسمى مقرئاً إلا اذا احكم قراءته بالسماع والمشافهة ، وثبت تواتر قرائيته .

بسم الله الرحمن الرحيم

ق . والقرآن المجيـــد (١) بل عجبوا ان جاءهم منذرٌ منهم فقال الكافرون : هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا و كنا ترابا ذلك رجعٌ بعيد(٣)قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتابٌ حفيظ (٤) بل كذّبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥) أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها ومالها من فروج (٦) والارض مددناها والقينا فيهـــا رواسيَ وانبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزّلنا من السماء ماءً مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقاتٍ لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) .

اللغـــة

ق ، احد الاحرف التي تبدأ بها بعض السور . للعلماء فيها معان كثيرة . قال بعضهم : انها اسرار مرموزة ، أو انها اسماء الله أو انها اشارات لابتداء كلام وانتهائه ، وقيل : انها اسماء لتلك السور .

حفيظ : حافظ لتفاصيل الاشياء أو محفوظ فى اللوح المحفوظ أو محفوظ من التغير والتبديل .

مريج : مضطرب مشتق من مرج الخـــاتم فى الاصبع اذا قلق وتحرك .

فروج : فتوق وشقوق وعيوب .

رواسي : ثوابت جمع راسٍ .

الزوج : الصنف .

بهيج : شديد البهجة لحسنه وجماله .

منيب : يرجع كل شيء الى ربه ويظل يفكر فى بدائع مخلوقاته

مبارك : كثير المنافع .

جنات : جمع جنة وهي البستان ذات الاثمار .

الحصيد : الحب الذي يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما .

باسقات : طويلات أو حوامل . من ابسقت الشاة اذا حملت .

الطلع : الغلاف الذي فيه مادة الثمر .

نضيد : متراكب بعضه فوق بعض بانتظام .

* * *

الاعراب

جملة (هذا شيء عجيب) محلها النصب لانها مقول القول .

اذا : ظرف منصوب بفعل مضمر تقديره نرجع . لانها خافضة لشرطها منصوبة بجوابها .

تبصرةً وذكرى : علتان للافعال السابقة معنى . وان انتصبا بالفعل الاخير . أو لفعل مقدر من لفظهما . أي بصرنا وذكرنا .

والاول اولى (تفسير روح المعاني) .

والنخل : عطف على جنات

باسقات : حال

جملة (لها طلع نضيد) حال من النخل بطريق الترادف .

رزقا للعباد : مفعول مطلق . وجوزوا ان يكون حالا بمعنى مرزوقا .

المعـــاني

يقسم سبحانه وتعالى بقرآنه الكريم الذي جمع المجد والشرف وحاز الامتياز على سائر الكتب السماوية ، لمـا اشتمل عليـه من الاشارات المتعلقة بالنواميس الكونية ، وما احتوى بين دفتيه من العلوم والآداب والحكم . في كل ما يحتاج اليه الخلق منذ بدايتهم حتى نهايتهم . فمن احاط علمـاً بمعانيه وعمل بمـا فيه مُجد عنـد الله وعند الناس .

(بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) لقد عجب هؤلاء الكفار لمجيء رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث ، ويدعوهم الى عبادة واحد أحد ، وترك ما يعبدون من دون الله ، فيقول الله سبحانه وتعـالى : كيف تعجبون من دعوة رجل منكم قد عرفتم وساطته ، وعدالته ، وأمانته فيكم قبل البعثة .؟

واذا كنتم قد عرفتموه بهذه الاخلاق العالية والصفات النبيلة وعرفتم محبته لكم ، وترفقه بكم ، وخوفه عليكم ، من أن ينالكم سوء ، ويحل بكم مكروه ، فكيف تستنكرون ذلك وتعجبون من كونه رسولا ، ومما انذركم به من البعث مع علمكم بقدرة الله تعالى على خلق السماوات والارض ومـا بينهما ، وعلى اختراع كل شيء وابداعه ، ومع اقراركم بالنشأة الاولى ومع دلالة العقل وشـهادته بامكان البعث الذي لابد منه ، (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحسنى ويجزي الذين أساءوا بالسوأى) .

ثم عول سبحانه وتعالى على أحد الانكارين بقوله : (فقـال

الكافرون هذا شيء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) .
دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع سبحانه وتعالى كلمة (الكافرون) موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر بعناد واصرار بدون روية وبدون تمحيص .

ترى أن أساس انكارهم للبعث وتعجبهم منه انهم يظنون أن اعادة الجسم بعد التفرق والانحلال والصيرورة الى تراب أمر بعيد جداً ، بل هو محال . إنهم يقولون : من الذي يستطيع أن يجمع الجزئيات بعد تفرقها في التراب أو ذهابها فى بطون السباع والوحوش والاسماك ؟ ومن الذي يحصي كل هذا حتى لا يفلت منه جزئي . ان ذلك لرجع بعيد .

فيرد سبحانه وتعالى عليهم بأبلغ رد وآكده . فيرد ببيان علمه الشامل ، وقدرته الكاملة . وضرب الشواهد المادية والامثال على ذلك بقوله (قد علمنا ما تنقص الارض منهم ، وعندنا كتابٌ حفيظ) أي يجمعها الذي خلقكم ورزقكم ، وخلق ما أظلكم وحملكم والذي يعلم علماً اكيداً ما تأكل الارض من لحومكم وعظامكم ، وما يتفرق منها فى كل ناحية ، وهو العليم بكل شيء المحيط بكل مافي السماوات والارض . وعنده كتاب حافظ لكل شيء .

(بل كذّبوا بالحق لما جاءهم ، فهم فى أمر مريج) .

فى كلمة (بل) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أفظع من تعجبهم فى مجيء منذر من أنفسهم ، وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة

من غير تفكر ولا تدبر ، لذلك اضطربوا في أقوالهم ، تارة يقولون شاعر ، وتارة ساحر ، وتارة كاهن لايثبتون على شيء واحد .

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها ، ومالها من فروج) .

أي أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم المشاهد بالعين المجردة ، الزاخر بالكواكب والنجوم الدائرة في افلاكها تحت هذه السماء المرفوعة بغير عمد . المبنيّة بناءً محكما لا فتوق ولا شقوق ولا خلل فيه . أليس في استطاعة الخالق المبدع لهذه الكائنات أن يبعثكم من مرقدكم ويجمعكم يوم القيامة ؟

(والارض مددناها ، والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) .

أي واذا لم تؤمنوا أيها المشركون بقدرته تعالى على خلقه ملكوت السماوات أفلم تروا الارض التي تعيشون فوقها كيف بسطناها في نظركم والقينا فيها جبالا ثوابت تمنعها من الميْد والميلان عن فلكها الذي تدور فيه ولا تنحرف عنه قيد شعرة . واذا لم يقنعكم ذلك ألم يقنعكم هذا النبات الحسن الجميل الذي يبهج ويسر كل من نظر اليه . وجعلناه صنوفا كثيرة مختلفة الالوان والاشكال . لتنتقلوا من بدائع صنعه الى صانعها ؟ أي فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً لاولى الابصار الذين يرجعون كل شيء الى الله .

(ونزّلنا من السماء ماءاً مباركاً فانبتنا به جناتٍ وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتاً ، كذلك الخروج) .

أي ان مثلكم أيها الناس في إحيائكم بعد موتكم كمثل احيائنا للبلد الميت الذي لا ماء فيه ولا نبات ننزل عليه ماءاً كثير المنافع فننبت فيه الجنان اليانعة بأثمارها ، المليئة بأصنافها من أنواع الفواكه والحبوب كالحنطة والشعير وغيرهما. كذلك خروجكم من الارض .

(كذّبت قبلهم قوم نوح ، واصحاب الرسّ ، وثمود (١٣) وعاد وفرعون واخوان لوط (١٤) وأصحاب الايكة ، وقوم تبّع كلٌّ كذب الرسل فحق وعيد (١٥) افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد (١٦) ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد (١٧) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٨) ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد (١٩) وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد (٢٠) ونُفخَ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢١) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢٢) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٣) وقال قرينه ما لدي عتيد (٢٤))

اللغة

الرس البئر ، اخوان لوط اصهاره ، الايكة واحدة الشجر جمعها ايك ، تبع ملك اليمن ، فحق وعيد وجب العذاب افعيينا افعجزنا . اللبس الخلط ، الوريد عرقان مكتنفان ، صفحتي العنق . المتلقيان الملكان . عتيد حاضر ، السكرة الشدة . الصور البوق . تحيد تنفرد وتهرب . قرينه شيطانه الذي اغواه ودفعه الى جهنم .

الاعراب

جملة كذبت قبلهم قوم نوح ـ جملة استئنافية لتقرير حقيقة البعث التي اتفق عليها جميع الرسل .

و كذلك جملة ـ افعيينا بالخلق الاول جملة استئناف مقرر لصحة البعث أيضا .

بل هم في لبس ـ عطف على مقدر يدل عليه ما قبله ، كان قيل : انهم معترفون بالاول غير منكرين قدرتنا عليه ، فلا وجه لانكارهم الثاني . ما توسوس ـ ما موصولة ، وضمير به يعود لها . والياء صلة توسوس . إذ ـ ظرف لاقرب . وافعل التفضيل يعمل في الظروف .

محل (معها سائق وشهيد) النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة .

(لقد كنت في غفلة من هذا) محكي باضمار قول . والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله . كأنه قيل : فماذا يكون بعد النفخ ، ومجيء كل نفس معها سائق وشهيد ؟ فقيل : يقال للكافر الغافل [لقد كنت في غفلة من هذا] .

المعـــاني

في هـذه الآيات الكريمة تسلية للرسول عليـه افضل الصلاة والسلام، وفيها تهديد للمشركين. فيقول له: أيها الرسول لايحزنك الذين يجحدون رسالتك، وينكرون البعث، فقد كذّبت من قبلك الرسل. كذب قوم نوح، واصحاب الرس، وثمود، وعاد، وفرعون واخوان لوط، واصحاب الايكة، وقوم تبع.

والمهم أن تتلو عليهم قوله تعالى: (أفعيينا بالخلق الاول) أي أننا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الخلق الثاني. واذا علموا ذلك بالضرورة ولم ينكروا قدرتنـا على الخلق الاول، فالقياس الصحيـح أن يعترفوا بأن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر. (بل هم في لبس من خلق جديد). عطف على مقدر يدل عليه ما قبله، كأنه قيل: انهم معترفون بالاول غـير منكرين قدرتنا عليه، فلا وجه لانكارهم الثـاني، بل هم في خلط وشبهة، قد لبسها عليهم الشيطان، وانمـا نكر الخلق الثـاني ووصف بجديد تنبيهاً على مكان شبهتهم واستبعاده عندهم. وجوّز بعضهم أن يكون التنكير للابهام الى انه خلق جديد على وجه لا يعرفه الناس.

(القيا في جهنم كل كفار عنيد (٢٥) مناعٍ للخير معتدٍ مريب (٢٦) الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العـذاب الشديد (٢٧) قال قرينه: ربنا ما اطغيته ولكن كان في ظـلال بعيد (٢٨) قال: لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد (٢٩) ما يُبدل القول لدي، وما أنا بظـلام للعبيد (٣٠) يوم نقول لجهنم: هـل امتلأت

وتقول : هل من مزيد (٣١) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣٢) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٣) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٤) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٥) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٦) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٧) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد (٣٨))

اللغـــة

عنيد ـ معاند للحق كاره لاهله . مناز ع للخير — يمنع الزكاة والصدقات ، معتد — ظالم . مريب — شاك في دين الله . قرينه شيطانه الذي يخدعه ويغويه . اطغيته ـ اضللته . بالوعيد ـ بالعذاب . وازلفت الجنة ـ قربت . أواب — رجاع الى الله . حفيظ — يحفظ ذنوبه ويتوب عنها . منيب — مقبل على طاعة الله . الخلود — البقاء الذي لا انتهاء له . بطشاً — سطوة وأذى . نقبوا — طافوا . محيص — مهرب . القى السمع — أصغى الى المواعظ . شهيد — حاضر .

الاعراب

الالف في القيا عائد للملكين السائق والشهيد ، ويجوز أن تكون بدلا من النون اجراءاً للوصل مجرى الوقف .

الذي مبتدأ متضمن معنى الشرط . خبره فألقياه في العذاب الشديد . بدلالة الفاء في قوله فألقياه . ويجوز أن يكون منصوباً على البدلية من (كل كفار) .

قال قرينه — جملة استئنافية ، وكذلك قوله : قال لا تختصموا كأنّ قائلا قال : فماذا قال الله ؟ فقيل له — قال لا تختصموا .

والباء في قوله : بالوعيد ، مزيدة مثل (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) .

فان قلت : كيف قال بظلاّم على صيغة المبالغة ؟ قلت قد يراد (لو عذّبت من لا يستحق التعذيب لكنت ظلاماً مفرط الظلم) . فنفى ذلك باسلوب المبالغة .

غير بعيد نصب على الظرفية . أي مكانا غير بعيد ، أو على الحال . وأما تذكيره فلأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث .

من خشيَ الرحمن ، يجوز أن يكون (من) مبتدأ خبره يقال لهم : أدخلوها بسلام آمنين . لأن منْ في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم (من لايزال محسناً أحسن إلي) .

المعـــاني

يقول جلّ جلاله للملكين ألقيا في النار كل معاند للحق ، كثير المنع للخير . ظالم ، شاك ، مرتاب في دين الله . جعل مع الله إلهاً آخر .

وقول الشيطان : ربنا ما أطغيته مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر . كأنه قال : ان شيطاني هو الذي أطغاني . فأجاب الشيطان بتكذيبه ، وبأنه كان في ضلال بعيد من الحق فأعنته عليه من غـير قسر ولا اكراه .

لذلك قال عزّ وجل : لا تختصموا في موقف الحساب والجزاء .

إذ لا فائدة في ذلك وقد انذرتكم من قبل بالوعيد في كتبي وعلى السنة رسلي ، فلا تطمعوا الآن في الخلاص من العذاب بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة . وما أنا في تعذيبكم بظلام لكم . وفي هذا القول اشارة الى أن تعذيب من يعذب من العبيد انما هو عن حق واستحقاق .

واذكروا يوم نقول لجهنم : هل امتلأت ؟ وتقول : هل من مزيد ؟ أي هل امتلأت جوانبك الفسيحة بمن دخلك من المذنبين . فتقول جهنم جواباً عن هذا السؤال . هل من زيادة ؟ أي لا أسع اكثر من ذلك فاني قد امتلأتُ . ويقول الزمخشري رحمه الله : ان سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى وتثبيته في القلب ، وفيه معنيان .

أحدهما : انها تمتلىء مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ، ولا يزداد على امتلائها شيء . لقوله تعالى : لاملأن جهنم .

والثاني : انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ، ويجوز أن يكون (هل من مزيد) استكثاراً للداخلين فيها لفرط كثرتهم ، أو طلباً للزيادة غيظاً على العصاة ، وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، أي قربت الجنة للذين يخشون ربهم بالغيب ، ويأتونه بقلوب خاشعة ، فيقال لهم : هذا ما توعدون به . أدخلوها بسلام آمنين من العذاب ، خالدين فيها ، لكم ما تشاءون وزيادة مما هو لم يخطر ببالكم ولم تبلغه أمانيكم من الحور العين والولدان المخلدين .

ثم يطلب سبحانه وتعالى من المجرمين أن يتذكروا ، كم أهلك

الله قبلهم من أمم كانت أشد منهم بطشاً وا كثر اذى نقبوا فى البلاد وجالوا فيها طلباً للخلاص من العذاب فلم يفلحوا ، ولم يجدوا مهرباً من الله . ان في ذلك لموعظـة لمن كان له قلب يعرف الحق ويسمع النصيحة ويهيء ذهنه لفهمها والعمل بمقتضاها .

(ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٤٠) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤١) واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب (٤٢) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٣) انا نحن نحيي ونميت والينا المصير (٤٤) يوم تشقق الارض عنهـم سراعاً ذلك حشر علينا يسير (٤٥) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٤٦))

اللغــة

لغوب ـ تعب واعياء . وسبح بحمد ربك ـ أي نزهـه عن النقص واحمده على نعمه . وأدبار السجود ـ أي واعقـاب الصلاة . المنادي ـ هو اسرافيل أو جبرائيـل . من مكان قريب ـ أي يصل نداؤه الى الكل .

ويقول الزمخشري رحمه الله انه المكان القريب من صخرة بيت المقدس ، وهي أقرب بقاع الارض من السماء . سراعاً ـ مسرعين . حشر ـ جمع . يسير ـ سهل . جبار ـ له سطوة وسيطرة . الوعيد ـ التهديد .

الاعراب

جملة (وما مسنا من لغوب) تحتمل أن تكون حالية ، وأن تكون استئنافية .

ومن الليل فسبحه ـ مفعول لفعل محذوف يفسره فسبحه . أي وسبحه بعض الليل ، وقدم المعمول للاهتمام به .

يوم ينادي المنادي ـ يوم منتصب على انه مفعول به لاستمع أي انتظر يوم ينادي المنـادي . ويوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي .

بالحق الجار والمجرور في موضع الحال من الصيحة ، أي يسمعونها ملتبسة بالحق ، وجوزوا أن يكون الجار متعلقاً بيسمعون ، على أن المعنى يسمعون بيقين .

سراعاً : مصدر وقع حالا من الضمير في عنهم ، وان عليهم متعلق بمحذوف وقع حالا ايضاً . أي ما أنت جبار تجبرهم على الايمان .

المعـــاني

يقول سبحانه وتعالى : ليعلم هؤلاء الكافرون ان قدرته فوق كل قدرة . فالذي قدر على خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام — أي أدوار — دون أن يلحقه لغوب وتعب أليس بقـادر على اعادة خلقهم مجدداً ، وانزال العقوبات عليهم ؟ بلى . انه لقادر على ذلك . وهذا تفنيد لقول اليهود بأن الله خلق السماوات والارض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعـة واستراح يوم السبت بعد أن أدركه التعب والاعياء

ثم خاطب سبحانه وتعالى نبيه الكريم بقوله : فاصبر على ما يقوله المشركون . وسبح بحمد ربك في اعقاب كل صلاة من قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن الليل كصلاة المغرب والعشاء سواء اكانت تلكم الصلوات من المكتوبات أو من النوافل

روى عن النبي ﷺ انه قال (من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته في عليين)[1]

وفي قوله تعالى : (نحن أعلم بما يقولون) تهديد للمشركين وتسلية لرسول الله ﷺ واشعار له بأنه لا يطلب منه السيطرة على الناس وقسرهم على الايمان وانما يقول له أنت داع وباعث . وقيل أريد منه التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم كقوله تعالى : (انما أنت منذر من يخشاها) . أما المصرّ على الكفر فلا ينفع معه شيء . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة (ق) هوّن الله تارات الموت وسكراته .[2]

---

(١) الكشاف الجزء الثاني صفحة ٤٠٦ . سورة ق .

(٢) الكشاف الجزء الثاني صفحة ٤٠٦ . سورة ق .

الفصل الحادي عشر

سورة النجم - مكية على الاطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى (٢) ما ضل صاحبكم وما غوى (٣) وما ينطق عن الهوى (٤) إن هو إلا وحي يوحى (٥) علمه شديد القوى (٦) ذو مرة فاستوى (٧) وهو بالافق الأعلى (٨) ثم دنى فتدلى (٩) فكان قاب قوسين أو أدنى (١٠) فأوحى الى عبده ما أوحى (١١) ما كذب الفؤاد ما رأى (١٢) أفتمارونه على ما يرى (١٣) ولقد رآه نزلة أخرى (١٤) عند سدرة المنتهى (١٥) عندها جنة المأوى (١٦) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٧) ما زاغ البصر وما طغى (١٨) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٩) أفرأيتم اللات والعزى (٢٠) ومناة الثالثة الاخرى (٢١) ألكم الذكر وله الانثى (٢٢) تلك إذاً قسمة ضيزى (٢٣) إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، أن يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٤) أم للانسان ما تمني (٢٥) فلله الآخرة والاولى (٢٦)

اللغــة

النجم ـ اسم غالب للثريا . أو جنس النجوم . أو المقدار النازل من القرآن الكريم . وقال الامام جعفر الصادق رضي الله عنه [1] : هو النبي ﷺ . هوى ـ اذا شرّق او غرّب ، او انتثر يوم القيامة . ما ضل ـ ما عدل عن طريق الحق . صاحبكم ـ المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما غوى ـ ما جهـل وما فسد اعتقاده . شـديد القوى ـ لجبريل قدرات شديدة . ذو مرة ـ صاحب حصافة في العقل واستحكام في المنطق . فاستوى ـ استقام على صـورته الحقيقية . بالافق الاعلى ـ الجهة العليا من السماء . دنا ـ قرب . فتدلى ـ تعلق في الهواء . قاب قوسين ـ مسافة قوسين . اوأدنى ـ اقرب . افتمارونه ـ اتكذبونه . نزلة ـ مرة اخرى من النزول . السدرة ـ شجرة المعرفة ينتهي اليها كل علم ، يغشى ـ يغطى . ما زاغ ـ ما مال . وما طغى ـ ما تجاوز الحد . اللات والعزى ومناة ـ اسمـاء اصنام . قسمة ضيزى ـ قسمة ظالمة . السلطان ـ البرهان . الظن ـ التوهم .

أما اللات فانهـا صنم لثقيف بالطائف ، والعزّى كانت صنما لغطفان ، وهي على المشهور شجرة ببطن نخلة . وأما مناة فقد كانت صنما لهـذيل وخزاعـة . وقالوا ان اللات كانت على صورة آدمي . والعزى على صورة نبات ، ومناة على صورة صخرة .

---

(١) تفسير روح المعاني . مبحث (والنجم اذا هوى) صفحة ٤٥ .

الاعراب

والنجم — متعلق بفعل محذوف ، تقديره اقسم . (اذا) — ظرف لمطلق الوقت . (ان) نافية . (هو) مبتدأ (الا) اداة حصر وتفريغ ، (وحي) خبر ، وجمله (يوحى) صفة مؤكدة لوحى .

فكان قاب قوسين او أدنى — أي فكان مقدار مسافة قربه مثل قوسين ، فحذفت هذه المضافات

ولقد رآه (نزلة) اخرى ، فأقيمت كلمة (نزلة) مقام المرة ونصبت نصبها على الظرفية ، لأن اصل المرة مصدر مرّ يمر ، ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه ، ولم يقل (مرةً) بدلها ليفيد ان الرؤية في هذه المرة كانت بنزول ودنوّ ، كالرؤية في المرة الاولى

(المنتهى) اسم مكان . وجوزوا ان يكون مصدراً ميمياً . واضافة سدرة الى المنتهى من اضافة الشيء الى محله ، وقيل من اضافة المحل الى الحال كما في قولك كتاب الفقه

(المأوى) اسم مكان ايضاً ؛ واضافة الجنة اليه بيانية ، وقد قيل من اضافة الموصوف الى الصفة كما في قولك جامعة المستنصرية

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى : فالكبرى صفة موصوف محذوف لفعل رأى اقيمت مقامه بعد حذفه ، وقد جاءت مجموعاً ليطابق الواقع

المعـــانى

اقسم سبحانه وتعالى — بالنجم — حين شروقه وغروبه وحين انقضاضه وانتثاره يوم القيـامة . او انه اقسم بالمقـدار النازل من القرآن على النبي ﷺ قال تعـالي : (والنجم اذا هوى) وعلى رأي الامام جعفر الصادق رضي الله عنه ان الله تعالى اقسم بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة عروجه الى السماء ونزوله منها (ماضل صاحبكم وماغوى) أي ما عدل النبي عليـه الصلاة والسلام عن طريق الحق في اقواله وافعاله ، وما اعتقد باطلًا .

وكاف الخطاب لقريش ، وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان المصاحبة لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة وسجاياه الكريمـة .

(وما ينطق عن الهـوى ، ان هو إلا وحي يوحى) أي وما ينطق النبي بآية من آيات ربه عن هوى في نفسه اصلًا ، وانمـا هو وحى من عندالله يوحى اليه .

(علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) اي علمه جبريل عليه السلام ذو الحصافة والحكمة والقوة الذي جاءه الى غار حراء في مبادىء النبوة ، مستقيما على صـورته الحقيقية ، دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي ، وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله ﷺ احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الأعلى وهو افق الشمس . فعلا الافق ، وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد ﷺ مرتين ، مرة في الأرض ، ومرة في السماء .

(وهو بالافق الأعلى ، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) اي وهو في الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر اليها ، وهكذا قرب جبريل عليه السلام من النبي ﷺ فتدلى في الهواء حتى كانت المسافة بينهما بمقدار طول ذراعين او اقل من ذراعين (فأوحى الى عبده ما اوحى) اي فأوحى جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ ما اوحاه الله اليه ، وابهام الموحى به للتفخيم . فهذا نظير قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم »

« ما كذب الفؤاد ما رأى » اي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام

« افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة اخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة ، ثم انه ﷺ رأى جبريل عليه السلام مرة اخرى من نزوله اليه عند شجرة قريبة من الجنة يأوى اليها المتقون ، تلك الشجرة التي ينتهي اليها علم كل عالم ، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى . والمشاهد من النبات قد يكون ترابياً ومائياً وهوائياً ، ولا يبعد من الله تعالى ان يخلق النبات في أي مكان شاء ، وقد اخبر سبحانه وتعالى عن شجرة الزقوم انها تنبت في اصل الجحيم .

وقيل ان اطلاق السدرة عليها مجاز لانها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل اية شجرة .

« إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى » اى ان رسول الله ﷺ رأى السدرة ، ورأى ما غشيها من انوار الحضرة الربانية ، حتى استنارت تلك الشجرة ، فما عدل بصره عن عجائب

مخلوقات الله التي مكن من رؤيتها كما لم يجاوز بصره ما مكن من رؤيته . وفي ابهام التعبير بـ (ما يغشى) من التفخم ما لا يخفى ، فكأن الغاشي أمر لا يحيط به نطاق البيان ، ولا تسعه قوة الاذهان .
أخرج عبد بن حميد عن سلمة قال : استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا الى النبي ﷺ . فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا اليه عليه الصلاة والسلام .

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى من آياته تعالى ، وشاهد من عجائبه الملكوتية ليلة المعراج ما لا يوصف ولا يحصى .

روى عن الامام جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال : لما قرُب الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة . فلاطفه الحق سبحانه وتعالى بغاية اللطف ، فأوحى الى عبده ما أوحى حتى كان ما كان وجرى ما جرى ، قال الحبيب للحبيب ما يقوله الحبيب لحبيبه ، وألطف به إلطاف الحبيب بحبيبه ، وأسرّ اليه ما يسر الحبيب الى حبيبه فاخفيا ولم يطلعا أحداً على سرهما ..

والى نحو هذا يشير ابن الفارض بقوله :

(ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا سرٌّ أرق من النسيم اذا سرى)

(افرأيتم اللات والعُزى ومناة الثالثة الاخرى) .

أي اخبرونا عن هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله عز وجل ، هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة ؟ هل أوحت لكم بشيء كما أوحى الله سبحانه وتعالى الى محمد ﷺ . أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع .

(ألكم الذكر وله الانثى ، تلك اذاً قسمة ضِيزى . إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ، أن يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الانفس) أي كيف تجعلون لله ما تكرهون من الاناث ، وتجعلون لانفسكم ما تحبون من الذكور؟ وذلك قولهم : الملائكة بنات الله .

وفي هذا الاستفهام توبيخ لهم ، وتهكم بهم . ففي عبادتهم لهن تناقض . فهم من جهة يكرهون الاناث ومن جهة أخرى يجعلونهن انداداً لله وشركاء له . فقسمتهم هذه قسمة جائرة غير عادلة .

ثم ان هذه الاصنام التي تدعونها آلهة ليس فيها شيء من معنى الالوهية ، لانها لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني ولا تنفع فما هي إلا أسماء لا مسميات لها . تلك أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ولا حجة ولا برهان وما حجتهم في اتخاذهم الاصنام آلهة إلا العمل بالظن . والظن لا يغني من الحق شيئاً .

(ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، أم للانسان ما تمنى ، فلله الآخرة والاولى) .

أي جاءهم ان اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وان هذه الاصنام لا تغني ولا تنفع . وجاءهم كل هذا في القرآن الحكيم الذي يدعوهم الى التوحيد بالدليل والبرهان القوي الذي لا يقبل الشك . بل ليس للانسان ما تمنى من الطمع في شفاعة هؤلاء الآلهة . وهو تمن على الله في غاية البعد فلله الآخرة والاولى ، فهو مالكها ، يعطي منهما من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما .

(وكم من مَلك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٧) إن الذين لا يؤمنـون بالآخرة ليُسمونَ الملائكة تسمية الانثى (٢٨) وما لهم به من علم أن يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً (٢٩) فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا (٣٠) ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعـلم بمن ضل عن سبيله وهو أعـلم بمن اهتدى (٣١) ولله ما في السماوات وما في الارض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (٣٢) الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ انشأكم من الارض وإذ أنتم أجنـة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو أعـلم بمن اتقى (٣٣)) .

اللغـــة

(كم) - كثير . (الملك) - مخلوق روحاني . (تغني) - تنفع . (الشفاعة) - الوساطة . (الظن) - التوهـم . (فاعرض) - فاتركه ولا تقابله . (تولى) - صدّ عنـه . (الدنيا) - الفانيـة . (مبلغهم - مقدار ما عندهم من العـلم . (اللمم) - صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمس . (المغفرة) - التوبة . (انشأكم) - خلقكم . (أجنة) - جمع جنين . وهو الولد ما دام في بطن أمه . لا تزكوا أنفسكم ، لا تمدحوها .

الاعراب

كم - مبتدأ ، مبنية على السكون في محل رفع ، وخبره جملة لاتغنى شفاعتهم . وهي خبرية مفيدة للتكثير .

ليسمون - اللام للتأكيد واقعة في خبر ان العاملة في الاسم الموصول (الذين) .

ومالهم - ما نافية لهم جار ومجرور خبر مقدم ، وعلم مبتدأ مؤخر مجرور لفظا مرفوع محلًا والجملة حال من فاعل يسمون .

أن - نافية بمعنى ما و (إلا) اداة تفريغ والظن مفعول به لفعل يتبعون .

لله - الجار والمجرور خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر .

ليجزي - اللام لام التعليل ، ويجزي فعل مضارع منصوب بلام التعليل .

ألا - اداة استثناء واللمم مستثنى . وقيل لا استثناء فيه أصلًا . وتكون كلمة الا صفة بمعنى غير .

الذين يجتنبون كبائر الاثم . اسم الموصول بدل من اسم الموصول السابق ، أو بيان ، أو نعت . أو منصوب على المدح ، أو مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف .

اذ - ظرف منصوب بمحذوف ، والتقدير اذكروا إذ انشأكم اولا فلا تزكوا انفسكم - الفاء لترتيب النهي عن تزكية النفس .

(و كم من مَلك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) .

يعني أن أمر الشفاعة أمر ضيق محدود . فان الملائكة مـع قربتهم و كثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغن شفاعتهم شيئاً قط ، ولا تنفع إلا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ، ويراه أهلاً لأن يشفع له . فكيف تشفع الاصنام اليه لعبادته لهم . وهي حجر أصم .

(ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليُسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم به من عـلم ، أن يتبعون إلا الظن ، وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) .

أي أن هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة ولايخافون من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمـات النقصان على الاطلاق تسمية الانثى بقولهم (ان الملائكة بنات الله) فجعلوهم أناثا وسموهم بناتاً . والحال انهم لا علم لهم بـما يقولون أصلاً ، وما يتبعون في قولهم هذا إلا الظن الذي لا يبني على أساس ، ولا ريب ان هذا الظن في مثل هـذه المسائل لا يغني من الحق شيئاً . إذ المعلوم ان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء وما هو عليه انمـا يدرك ادرا كاً معتداً به اذا كان عن يقين لا عن ظن وتوهم . فلا يعتد بالظن في شأن المعارف الحقيقية والمطالب الاعتقادية التي يلزم فيها الجزم عن علم ثابت .

(فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ، وهو أعلم بمن اهتدى) .

أي فأعرض عن من أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم وهو القرآن العظيم ، المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة . المشتمل على علوم الاولين والآخرين ، أعرض عن هؤلاء ولا تأبه بهم ولا تجادلهم ، فهؤلاء قصروا نظرهم على الدنيا فشغلتهم عن التفكير فيما بعد الموت فغاية علمهم لا تتجاوز شؤون الدنيا . لذلك لا تعيرهم اهتماماً لأن الله أعلم بمن ضل وركب رأسه وصدّ عن سبيله . وأصرّ على الضلال ولم يرجع الى الهدى أصلاً . وكذلك ربك أعلم بالمهتدين الذين ينشدون الحقيقة ويحبون الهداية من الله تعالى .

(ولله ما في السماوات وما في الارض ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم ، ان ربك واسع المغفرة ، هو أعلم بكم إذْ انشأكم من الارض ، واذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى) .

أي له ذلك على الوجه الأتم ، لا يشاركه فى ملكوته أحد سواء اكانوا َخلقاً أو َملكاً . ليجزي الضالين بعقاب ما عملوا من الاساءات ويجزي الذين اهتدوا بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة . علماً بأن الكلام مسوق لوعيد المعرضين عن هدى الله ، وان تسوية هذا الملك العظيم لهذه الحكمة . فلا من ضال ومهتد إلا أن يلقى كل ما يستحق .

وجوزوا أن يكون معنى (فأعرض) أي فلا تقابلهم بصنيعهم وكِلْهم الى ربك انه أعلم بك وبهم .

والذين يجتنبون كبائر الأثم كالشرك بالله ، والقتل بغير حق والزنا والربا ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وكل معصية ذنبها كبير ، وقيل ان من الكبائر اكلَ الميتة ولحم الخنزير. ومال اليتيم والفرار من الزحف فى سوح الجهاد لا يفلتون من قبضة الله .

أمـا اللمم كصغائر الذنوب التي تعمل بلا قصد ولا مداومة . كالنظرة [1] والغمزة والقبلة . فان امرها أخف . وقيل انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار [2] .

هذا وان الله واسع المغفرة يغفر لمن يشاء من عباده ما يشاء من الذنوب صغيرها و كبيرها . قال ذلك سبحانه وتعالى لئـلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمتـه . ولا يتوهم وجوب العقاب عليه عز وجل . وهو أعلم بأحوالكم من كل أحد . وهو الذي انشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض . باعتبار ان المنى ناشيء من الاغـذية التي منشؤها من الارض ويعلم عنكم كل شيء قبل أن تكونوا أجنة فى بطون امهاتكم وبعد ان كنتم وجئتم الى الدنيا ، واذا كان الامر كذلك فلا تزكوا أنفسكم ولا تمدحوها . بالطهارة عن المعاصي . بل اشكروا الله على فضله ومعصيته فقد علم الزكي والتقي منكم أولا وآخراً .

* * *

---

(١) عن أبي سعيد الخدري تفسير الكشاف ص ٨ ٤ ج ٢

(٢) تفسير روح المعاني سورة والنجم ص ٦٣ .

أفرأيت الذي تولى (٣٢) وأعطى قليلاً وأكدى (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى (٣٥) ألم يُنبّأ بما في صحف موسى (٣٦) وابراهيم الذي وفّى (٣٧) ألا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى (٣٨) وان ليس للانسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يُرى (٤٠) ثم يُجزاه الجزاء الاوفى (٤١) وان الى ربك المنتهى (٤٢) وانه هو أضحك وأبكى (٤٣) وانه هو أمات وأحيا (٤٤) وانه خلق الزوجين الذكر والانثى (٤٥) من نطفة اذا تمنى (٤٦) وأن عليه النشأة الاخرى (٤٧) وانه هو أغنى وأقنى (٤٨) وانه هو ربُ الشعرى (٤٩) وانه أهلك عاداً الاولى (٥٠) وثمودَ فما أبقى (٥١) وقومَ نوح من قبلُ إنهم كانوا هم أظلمَ واطغى (٥٢) والمؤتفكة أهوى (٥٣) فغشّاها ما غشى (٥٤) فبأي آلاءِ ربك تتماري (٥٥) هذا نذير من النذُر الاولى (٥٦) أزِفَت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨) أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون (٦١) فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢) .

اللغـــة

(تولى) ارتد وصد عن الايمان . « واكدى » ـ منع وقطع ما اتفق عليه . « صحف موسى » ـ التوراة . « وفّى » ـ تمم ما أمر به . « وازة وزر أخرى » ـ نفس حاملة حمل أخرى من الذنوب . « الاوفى » الأتم والاكمل . « المنتهى » ـ المرجع والمصير بعد الموت . « أضحك » أفرح . « أبكى » ـ أحزن . « أمات » ـ في الدنيا . « أحيا » ـ للبعث « الزوجين » ـ الصنفين . « النطفة » ـ الماء القليل مشتق من نطف

المـاء اذا قطر . « تُمنى » ـ يقال مَنى الرجل وامنى . اذا ادفق في الرحم . « النشأة » ـ الخلقـة الاخرى للبعث بعد الخلقـة الاولى . « اغنى واقنى » ـ أعطى مالا كثـيراً يدوم ويبقى . « الشعرى » ـ كوكب كان يعبد في الجـاهلية . « عاد وثمود » ـ قوم هود وصالح . « اظلم واطغى » ـ اكثر ظلماً وطغيانا . « المؤتفكة » ـ قرى قوم لوط المقـلوبة . « فغشاها » ـ فغطاها . « آلاء الله » ـ نعمه . « تتمارى » ـ تتشكك . « ازفت الآزفة » ـ قربت القيـامة . « كاشفة » ـ نفس تظهرهـا . « الحديث » ـ القـرآن . « تضحكون » ـ تستهزئون . « سامدون » ـ لاهون غافلون .

الاعراب

الذي – اسم موصول مفعول أول لرأيت . وجملة اعنـده علم الغيب مفعول ثان لها .

ان لا – ان مخففة من الثقيلة ، واسمهـا ضمير الشأن محذوف . وجملة لا تزر خبرها . ومحل الجملة الكبرى الجر على انهـا بدل من ما الموصولة . في صحف موسى . أو ان محلها الرفع على انهـا خبر مبتدأ محذوف . كأنه قيل : ما في صحفهما ؟ فقيل هو ان لا تزر .

(وان ليس للانسان إلا ما سعى) (فأنْ) كأختها مخففة من الثقيلة وما مصدرية . أي ليس له إلا سعيه . وجوّزوا كونهـا موصولة . أي إلا الذي سعى به وفعله .

(الجزاء الاوفى) الجزاء مصدر مبين للنوع . وجوزوا كونه

مفعولا به . بمعنى المجزى به . وحينئذ يكون الفعل في حكم المتعدي الى ثلاثة مفاعيل . وبعضهم يجعل (الجزاء) منصوباً بنزع الخافظ .

يرى الزمخشري والرماني . وجماعة : ان كلمة (كاشفة) يحتمل أن تكون مصدراً مثل كلمة العافية [1] .

---

(١) الكشاف سورة (النجم) ص ٤١٩ . وكذلك ذكرت في تفسير روح المعاني في الجزء السابع والعشرين ص ٧٢ . انتهى .

المعـــاني

أي افرأيت الذي تولى ، واعطى قليلًا واكدى ، اعنده علم الغيب فهو يرى ، أم لم ينبأ بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر اخرى ، وان ليس للانسان إلا مـا سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى .

أي : ارأيت الذي تولى واعرض عن اتباع الحق ، وزاغ عن الايمان واعطى قليلًا من المال ثم امتنع بعد ذلك عن العطاء .

روى ان الوليد بن المغيرة كان قد اتبع رسول الله ﷺ فعيره بعض المشركين وقال له انا اضمن لك ان رجعت الى الشرك والى عبادة قومك . على ان تعطيني شيئاً من المـال ، فقبل الوليد ذلك واعطاه بعض ما كان ضمنه له ، ثم بخل ومنعه ماله . فنزلت هذه الآيات تذمه لرجوعه عن الحق وخلفه الوعد . فيقول سبحانه وتعالى هل نزل على هذا الانسان الذي اعرض عن الحق قرآن من عالم الغيب يخبره ان ما صنعه حق ؟ ... ثم الم ينبأ بما في صحف موسى الذي وفى ما عليه ؟ الم يعلم بما جاء في تلك الصحف (لا تزر وازرة وزر اخرى) . وانه ليس للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه سـوف يرى يوم القيـامة ثم يجزاه الجزاء التام . وان الى ربك نهاية الخلق ومنتهاهم .

* * *

(وانه هو اضحك وابكى ، وانه هو امات واحيـا ، وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) .

اي الم يعلم ان الله هو الذي خلق قوة الضحك وقوة البكاء ،

فاضحك الذين وهبهم السعادة في الدارين ، وابكى الذين حرمهم من السعادتين ؟

وانه هو الذي خلق الموت والحيـاة فيميت من يشاء ويخلق من يشاء ، وانه هو الذي خلق الزوجين الذكر والانثى من الانسان والحيوان . خلقهما من نطفة اذا تمنى وتدفق في الرحم لايفرق فيهـا بين الذكر والانثى .

* * *

وان عليه النشأة الاخرى ، وانه هو اغنى واقنى ، وانه هو رب الشعرى ، وانه اهلك عاداً الاولى ، وثمود فما ابقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا اظلم واطغى ، والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى ، فبأي آلاء ربك تتمارى ؟.

أي هو وحده عليـه الاحياء بعد الاماتة . وانه وحده الذي اغنى بالمال والمنقولات ، واقنى بالعقارات الثـابتة . وانه هو رب الشعرى التي كان الناس في الجاهلية يتخذونها ربا . وفي ذلك اشارة الى نفي تأثيرها . وانه هو الذي اهلك القـدماء من القبائل والامم كقوم عاد وقوم ثمـود ثم قوم نوح الذين كانوا اظلم واطغى من الفريقـين . وكذلك اهلك المؤتفكة . وهي قرى قوم لوط . سميت بذلك لانها إئتفكت بأهلها أي انقلبت بهم . ومنه الافك لانه قلب الحق . فغشاها من هول العذاب ما غشاها . فبأي مخلوقات ربك أيها الانسان تتشكك وتجحد وتتنكر قدرة الله تعالى ؟.

(هذا نذير من النذر الاولى ، أزفت الآزفة ، ليس لهـا من دون الله كاشفة ، أفمن هـذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا

تبكون ، وانتم سامدون ، فاسجدوا لله واعبدوا) .

الاشارة الى القرآن الكريم ، أو الى الرسول العظيم . أي انه هو نذير من جنس النذر الاولى التي كانت تنزل على الامم السابقة . فما لكم لا تؤمنون ، ولا تتعظون بما حل بغيركم .

أزفت الآزفة وقربت القيامة ، ليس لهــا من دون الله نفس كاشفة تكشفها وتزيلها عنكم . بل الامر كله لله سبحانه وتعالى أفمن هذا القرآن أو الرسول تعجبون انكاراً ، وتضحكون استهزاءاً ، ولا تبكون ؟ والبكاء والخشوع حق عليكم[1] . ثم فوق ذلك انتم ســامدون وشامخون مبرطمون ولاهون لاعبــون ؟ فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا غير الله .

قال صاحب الكشاف عن رسول الله ﷺ (من قرأ ســورة والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صــدق بمحمد وجحد به بمكة . وقال : انه روى عن رسول الله ﷺ انه لم ير ضاحكاً بعـد نزولهــا .

(١) سورة والنجم ص ٤١٩ .

الباب الثاني

الفصل الاول

توطئة

السنة النبوية

هي الاصل الثاني من اصول التشريع الاسلامي . والسنة لغة الطريقة المسلوكة، وفسرها بعضهم بالطريقة المعتادة ، سواء اكانت حسنة أم سيئة مستدلا بالحديث الشريف من سنّ سُنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سنّ سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها يوم القيامة .

وتطلق السنة في عرف الفقهاء على ما ليس بواجب فالمطلوب فعله إن طُلب على وجه الحتم فهو واجب وان طلب لا على وجه الحتم فهو سنة . وقد يطلقها بعض الفقهاء على ما واظب على فعله الرسول مع ترك ما ترك بلا عذر .

وأما السنة في عرف المحدثين وجمهور اهل الشرع فهي كل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول او فعل او تقرير ، سواء اصدر عنه باعتباره رسولا أم باعتباره انساناً من البشر .

اما في اصطلاح الاصوليين فهي: ما صدر عنه من قول او فعل

او تقرير، من حيث كونه دليلاً على الاحكام ومصدراً من مصادر التشريع .

* * *

حجية السنة ووجوب اتباعها

اجمع المسلمون على ان سنة رسول الله ﷺ مصدر من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم فهي اما مبينة له او مكملة لما جاء به من تشريع الاحكام، وان ما ورد بها من احكام يجب اتباعه والعمل به متى ثبت وروده وصح نقله، والدليل على ذلك من عدة وجوه .

الاول : ان الله سبحانه وتعالى امر الرسول بالتبليغ، فقال : (يا ايها الرسول بلّغْ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس)[1] وقال (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[2] فقد امر سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يبلغ الرسالة ويبينها للناس . وما دام التبليغ بأمر من الله فانه تجب طاعته فيما بلغ وما بيّن إذ لا فائدة في تبليغه وتبيينه اذا لم يجب اتباعه .

الثاني : ان الله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين اتباع امر الرسول وجعل عصيانه ضلالا مبيناً فقال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضي الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم

(١) سورة المائدة الاية ٧١ .
(٢) سورة النحل الاية ٤٥ .

ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)[1] . كما انه سبحانه وتعالى جعل اتباع الرسول وسيلة للرحمة والمغفرة ، (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[2] . وقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب)[3] .

الثالث : ان رسول الله ﷺ بين مراد القرآن فيما اجمله من الفرائض والاحكام مثل : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، إذ لا سبيل الى أدائها بصفتها التامة إلا باتباع السنة التي بينت أوقاتها وشروطها . فقد صلى عليه الصلاة والسلام وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي) وحج وقال : (خذوا عني مناسككم) . وحينئذ فأداء الفرائض القرآنية المجملة يستلزم اتباع السنن التي وردت ببيانها ويلزم من ذلك اتباع كل سنة تشريعية صدرت عن الرسول المعصوم متى وردت الينا بالطرق الموثوق بصحتها .

الرابع : ان الصحابة أجمعوا في حياة الرسول وبعد وفاته على التزام العمل بسنته ووجوب اطاعته فيما قضى به وافتى فيه مما ليس في كتاب الله تعالى وكانوا يرجعون الى السنة يبحثون فيها عن الحكم الذي يريدون الوصول اليه اذا لم يجدوه في القرآن الكريم . يدلك على هذا حديث معاذ الذي اعتبر دستوراً للقضاء والافتاء والاجتهاد .

فقد روى ان رسول الله ﷺ سأل معاذاً حين ولاه القضاء

---

(١) سورة الاحزاب الاية ٣٦ .
(٢) سورة آل عمران الاية ٣١ .
(٣) سورة الحشر الاية ٧

باليمن) فقال : كيف تقضي اذا عُرض لك قضاء ؟ قال معاذ رضي الله عنه اقضي بكتاب الله ، فان لم أجد فبسنة رسول الله ، فان لم أجد اجتهد رأيي) . و كذلك كان صحابة رسول الله رضوان الله عليهم حين ينشدون حكم حادثة ترفع اليهم فيبحثون عن حكمها في كتاب الله تعالى أولا ، فان لم يجدوا لها حكماً فيه رجعوا الى سنته عليه افضل الصلاة والسلام . فان وجدوا الحكم فيها تمسكوا بها ولم يعدلوا عنها ولم يسوغوا لانفسهم اجتهاداً ولا بحثا في غيرها . فالسنة هي المرجع الثاني لمعرفة الاحكام واستنباطها بعد كتاب الله الكريم الذي هو المرجع الاول . مستدلين على ذلك بأمور منها :

أولا : ان القرآن الكريم مقطوع به من حيث ثبوته ونقله الينا بطريق قطعي لا شك فيه هو طريق التواتر . والسنة ليست كذلك فانها ظنية من حيث ثبوتها ونقلها ، إلا في المتواتر منها وهو قليل ، ثم ان القطع فيها انما يصح في الجملة لا في التفصيل . أما الكتاب فمقطوع به جملة وتفصيلًا والمقطوع به مقدم على المظنون فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنة .

ثانياً : مادل على ذلك من الاخبار والآثار فالرسول صلوات الله وسلامه عليه كان في حياته اذا استُفتي أو سئل عن حادثة اتبع حكمها في القرآن وما كان يَسُن حكماً باجتهاده الا حيث لايوحى اليه بقرآن . وعلى هذا درج أصحابه فأبو بكر الصديق في خلافته كان اذا وردت عليه الخصومة نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى ، وان لم يجد في الكتاب قضى بسنة النبي ، فان أعياه ذلك سأل المسلمين ، فقال اتاني كذا و كذا فهل علمتم ان رسول الله

قضى في ذلك الأمر بقضاءٍ ؟. فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكرون عن رسول الله قضاءً قضي به فيقول : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ سنة نبينا .

ثالثاً : ان السنة النبوية شارحة ومفسرة لمجمل الآيات القرآنية فهي المرجع الثاني بعد القرآن الكريم .

والسنة بالنسبة للاحكام الشرعية المستقاة منها لا تعدو ثلاثة أوجه :

الاول : سنةٌ شرعت ما شرع الله في كتابه الكريم فتكون سنة مقررة لما جاء به من الاحكام داعية الى اتباعها وتنفيذها كما اذا ورد في السنة شيء عن أصحاب الفروض المبينة في القرآن أو ورد فيها أمر بأداء الزكاة أو الحج ، أو بأداء الامانات والوفاء بالعقود ، أونهى عن الفواحش وقول الزور وقتل النفس إلا بالحق .

الثاني : سنةٌ بينت ما شرعه الله في القرآن بتوضيح مجمله وتخصيص عامه وتقييد مطلقه وتعيين المراد من نص محتمل لمعنيين أو اكثر فتكون سنةً مفسرةً للكتاب . فالله سبحانه وتعالى فرض علينا في القرآن الصلاة والزكاة والصيام والحج ولكنه لم يبين كيف نؤديها ولا ما يجب لها من اركان وشروط فجاءت السنة مبينة في الصلاة عدد الفرائض ووقت كل صلاة وعدد ركعاتها واركانها وشروطها كما بينت في الزكاة مقدار النصاب والاموال التي تزكّى ومقدار ما يجب اخراجه من كل نوع ومثل ذلك في الصوم والحج ومن أمثلة هذا النوع من السنة عدم جواز الوصية للوارث إلا باجازة الورثة وتحديد نصاب السرقة لوجوب القطع .

ومما لاشك فيه ان للرسول أن يبين مراد الله فيما شرَعه من الاحكام القرآنية فان الله منحه سلطة البيان والتفسير غير ان بيانه هذا لايكون إلا بالهام ووحي إلهي لأنه لا مجال لاجتهاد العقل فيه فالرسول إذا بين مجملًا أوخصص عاماً أوقيد مطلقاً أو عين المراد من نص محتمل فعن الله بيّن أو خصص أو عين وقد قال الشافعي كل ماحكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن .

الثالث : سنة شرعت أحكاماً زائدة سكت عنها القرآن فقد اتفق من يعتد به من أهل العلم على ان السنة قد تستقل بتشريع الاحكام وانها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وفرض الحقوق كتوريث الجدة السدس وتحريم لحوم الحمر الاهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع كالذئب والفهد والنمر وكل ذي مخلب من الطير كالصقر والحِداة وكاشتراط الشهود لصحة عقد الزواج وكتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها وتحريمها بالرضاع ما يحرُم من النسب ونَفْي التوارث بين المسلم ومخالفه في الدين .
فكما ان الله جل شأنه مَلّك الرسول سلطة البيان منحه سلطة التشريع قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء ٨٠ وقال : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر ٨ فهذه النصوص صريحة في ان للرسول أمراً ونهياً فبعض هذه الاوامر والنواهي صدر من الرسول بوحي وإلهام إلهي وبعضها صدر باجتهاده الذي كفل الله سبحانه وتعالى سداده وصوابه ، لأنه اذا فرض وقوع خطأ فيه فان الله عزّ وجل لايقره عليه . على ان اجتهاده

عليه الصلاة والسلام مستمد من آيات القرآن الكريم وروحه التشريعية العامة .

* * *

الحديث

لقد تبين من فحوى ما تقدم ان تعريف الحديث كالآتي :

الحديث لغة : الخبر أي خبر كان .

والحديث اصطلاحاً : هو ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

وقيل بين الحديث لغة والحديث اصطلاحاً عموم وخصوص مطلق . فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثاً .

الفرق بين الحديث والسنة

علمنا ان الحديث ما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير كما ذكرنا آنفاً .

أما السنة : فانها تطلق على معني الواقع العملي منذ عصر الرسالة الى آخر عهد الصحابة .

وربما نقل - حديث - والعمل المأثور في عهد رسول الله ﷺ على خلافه . فحينئذ يقال : في الحديث كذا ، والسنة على كذا .

الفصل الثاني

تدوين الحديث

مضى عهد رسول الله ﷺ ولم تُدَوَّن فيه أحاديثه وسنته كما دُوِّن القرآن إلا ما ورد من كتابة بعض الصحابة فقد روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر قال كنت اكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق.

وكذلك روى ان سيدنا عمر بن الخطاب أراد أن يكتب أحاديث الرسول ثم لم يلبث ان رغب عن الكتابة لئلا يلتبس كتاب الله بشيء منها. غير أن هذا الخوف والتردد قد زال في نهاية المائة الاولى من الهجرة ففي الموطأ من رواية محمد بن الحسن أن عمر بن عبد العزيز كتب الى الثقاة ان انظروا الى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه واكتبوه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء.

ولقد امتاز في هذا العصر بكتابة الحديث أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن مسلم بن شهاب الزُهري. ولكن لم يصل الينا شيء عن جمع هذين العالمين الجليلين.

الرحلة في طلب الحديث

كان طلاب حديث رسول الله ﷺ يقطعون الفيافي ويجوبون الامصار ويلاقون المتاعب المضنية من قلة الزاد وبعد السفر ومشقة الطريق في طلب الحديث غير مبالين بما يعترضهم من عناء وفقر وعذاب .

روى عن أبي الدرداء انه قال : (لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجل ببرك الغِماد لرحلت اليه)[1] .

وهذا جابر بن عبد الله بلغه حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتاع بعيراً فشد عليه رحله ثم سار شهراً حتى قدم الشام[2] .

وكان مسروق وأبو سعيد يرحلان في حرف حتى يجداه .

وقال الشعبي : (لو أن رجلاً سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع)[3] .

وقد جاء في كتاب ضحى الاسلام ان المحدثين كانوا انشط الناس لرحيل ، وأصبرهم على عناء . ذلك ان الصحابة عند الفتح تفرقوا في الامصار . فمنهم من سكن فارس ، ومنهم من سكن العراق ، ومنهم من سكن الشام والمغرب .

وكان كل هؤلاء يحملون حديثاً عن رسول الله ﷺ ، أخذه عنهم التابعون ومن بعدهم . فكان في كل مصر طائفة من الحديث

---

(١) برك الغماد موضع باقصى اليمن يضرب به المثل فى البعد .

(٢) كتاب جامع بيان العلم ١ / ٩٢ .

(٣) جامع بيان العلم ٩٥ .

لا تعرف في الامصـار الاخرى . فجدّ العلمـاء في الرحلة يأخذون الاحاديث عن أهلها ، ويجمعون ما تفرق منها . وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة ، ويسهل كل مشقة ـ فمثلاً ـ يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي رحل الى المشرق وهو ابن ثمـان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ في المدينة ، ورحل الى مكة فسمع من سفيان ابن عيينة ، ورحل الى مصر فسمع من الليث بن سعد ، وعبدالله بن وهب ، وعبدالرحمن بن القاسم[1] ، ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح وكان بنيسابور ومات بها[2] .

وأما البخاري صاحب الصحيح فقد رحل في طلب الحديث الى اكثر محدثي الامصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد واجتمع اليه أهلها .

ثم يعقب صاحب ضحى الاسلام بقوله :

(هكذا كانت المملكة الاسلامية فى انتقال العلماء من مكان الى مكان كأنها رقعة شطرنج وهم بيادقهـا ، فترى العـالم منهم في المشرق فاذا هو بالاندلس اذا هو في العراق ، وفيما هو في العراق اذا هو بمصر والشام ، لايعوقهم فقر ، ولايفت في عزمهم صعوبة الطريق واخطاره ، سواء عليهم الصحراء وحرها ، والبحار وأمواجها . إذ تغلغل في نفوسهم اعتقاد ان طلب العلم جهاد . فمن مات في سبيله مات شهيداً . هذا الى ان العلم عند كثير منهم أصبح مقصداً لا وسيلة ، يقصد لذاته ، ويرغب فيه للذته ، سواء انتج غنى أو فقراً ، وحيـاة

(١) ابن خلكان ٢ / ٣٢١ .
(٢) ابن خلكان ١ / ٦٤٩ .

أو موتاً . قال أبو عمرو بن العــلاء : قيل لمنــذر بن واصل : كيف شهوتك للأدب ؟ قال : اسمع للحرف منه فتود أعضائي ان لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الآذان . قيل : و كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لهــا غيره . قيل : و كيف حرصك عليه ؟ قال : حرص المجوع الممنوع على بلوغ لذته في المال[1] .

وهذا[2] الامام أحمد بن حنبل بعد أن أخذ الحديث عن المحدثين في بغداد علم بأن المحدثين في عصره كانوا متفرقين بالامصار فاتجه الى الرحلة سنة ١٨٦ هـ فرحل الى البصرة ثم الى الحجاز وفيهـا كان أول لقاء له بشيخه الشافعي رضي الله عنه . ثم رحل الى الكوفة ثم الى اليمن حتى أصابه الجهــد الشديد ، فقد نفدت نفقاته . وكان يؤجر نفسه للجمالين بقليل من المال كما كان يتولى بعض أعمال النسيج لينفق على نفسه من عرق جبينه . وكان في صحبته بعض الاغنياء الذين حاولوا أن يقرضوه فلم يقبل ، لانه لايريد أن يكون لأحد عليه فضل إلا فضل العلم والتلقي .

طاف الامام أحمد الاقاليم الاسلامية طالباً للحديث لايستكثر الكثير من التعب يحمل حقائب كتبه على ظهره . وقــد رآه بعض عارفيه وهو يعلم كثرة ما رواه من الحديث وحفظه و كتبه فقال له : مرة الى الكوفة ومرة الى البصرة ومرة الى الحجاز ومرة الى اليمن . الى متى ؟ فقال أحمد رضي الله عنه (مع المحبرة الى المقبرة) .

وهذا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي رحل من قريته بوغ الى

---

(١) نقلا عن معجم الادباء ١ / ١٩ .

(٢) المجلد الاول من تراث الانسانية ص ١٨٦ للشيخ محمد ابو زهرة .

مدينة ترمذ طلباً لسماع الحديث من افواه اكابر المحدثين فطاف خراسان ورحل الى العراق ، والى الحجاز حتى صار أحد أئمة الحديث وشهد له كثير من العلماء .

قال ابن عماد الحنبلي في شذرات الذهب (كان الترمذي مبرزاً على الاقران آية في الحفظ والاتقان) .

ومن أحسن كتبه كتابه الجامع الكبير الذي نفع الله به المسلمين ، ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي اكثر من عشرين شرحاً ومختصراً لكتابه (الشمائل النبوية)[1] وقال في حقه انه كتاب جمع فيه الوسائل في شرح الشمائل لعلم الرواية والدراية .

(١) تاريخ الادب العربي ج ٣ ص ١٩٤ لبروكلمان ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار .

الفصل الثالث

دور الحديث الشريف والقاب المحدثين

ذكر الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحاته[1] ان أول دار للحديث انشئت في القرن السادس الهجري تحقيقاً لرغبة نور الدين محمود بن أبي سعيد زنكي الذي خلد اسمه بانشاء المدرسة النورية في دمشق ، وكان بن عساكر صاحب تاريخ دمشق من شيوخ هذه المدرسة توفي سنة (٥٧١) هـ . وبعد عشرات السنين قامت في القاهرة دار للحديث بأمر الملك الايوبي الكامل ناصر الدين ، وقد تم تأسيسها سنة ٦٢٢ هـ . وكان أول أستاذ فيها هو الحافظ عمر بن الحسن المشهور بابن دحية . وهو اندلسي بلنسي توفي بالقاهرة سنة ٦٣٣ هـ . له كتاب (التنوير في مولد السراج المنير) .

وبعد أربع سنوات من تأسيس المدرسة الكاملية نشأت في دمشق المدرسة الاشرفية سنة ٦٢٦ هـ . فكان أول شيوخها أبا عمر تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري المشهور بابن الصلاح توفي سنة ٦٤٣ هـ .

ولقد قامت دور أخرى للحديث . ولكن لم تكن ذات شأن

---

(١) كتاب علوم الحديث ص ٧٣ .

عظيم ، ولم تك تشفي غُلة الورعين من طـلاب الحديث الذين ظلوا يؤثرون الرحلة والطواف بالاقاليم الاسلامية .

لعل الدكتور الصالحي قصر دور الحديث على هذه الدور التي ذكرها لأن لها صفة رسمية وموارد وانظمة خاصة بها وإلا فهنـاك دور أخرى لم يتعرض لذكرها ، نشأت منذ نشأ الاسلام . ففي مكة مثلاً ظل العلماء يتدارسون الحديث طبقة عن طبقة . فقد اشتهر من التابعين من علـماء مكة مجاهد بن جبر وعطاء بن رَبَاح وغـيرهما . وجاءت بعدهم طبقة أخرى اشتهر منها عمر بن دينار ، وكان ثقـة ثبتـاً كثير الحديث ، وكان يفتي الناس بمكة . فكان فقيهاً ومحدثاً وقد توفى سنة ١٢٦ هـ وخلفه في افتاء الناس في مكة عبدالله بن أبي نجيح توفى سنة ١٣٢ هـ . وجاءت بعد هـذه الطبقة طبقـة أخرى . وهـذه هي التي عاشت في العصر العبـاسي وأشهرهم عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج . كان كثير الحديث جداً وكان علماً من أعلام مدرسة مكة .

واشتهر من الطبقة التي تليه سفيان بن عيينه الذي كان كوفي الأصل ، ثم انتقل الى مكة وبها مات سنة ١٩٨ هـ . وقد أخذ عنـه الشافعي وأحمد بن حنبل ومحمد بن اسحاق وغـيرهم . وفيـه قال الشافعي : (لولا مالك وابن عيينه لذهب علم الحجاز) .

وأما المدينة فاستمرت مدرستها ونبغ فيها ربيعة الرأي ، كان فقيه أهل المدينة . وكان يجلس في المسجد وحوله أشراف المدينـة يأخذون عنه . وأشهر تلاميذه مالك بن أنس . وقد قال فيه مالك : لقد ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة . توفى سنة ١٣٦ هـ . وعلى

كل حال كانت مدرستا الحجاز في مكة والمدينة من اكبر المصادر وخاصة فيما يتعلق بالحديث ، وما ينبني عليه من فقه .

وهنـاك مدارس أخرى للحديث الشريف يطول تعدادها ولا يسعها منهاج الدراسة المطلوب انجازه منا في هذه السنة .

القـــاب المحدثين

كان أهل الحديث يمنحون القاباً علمية الذين ينبغون في علم الحديث . وكانت تلك الالقـاب في غاية الدقـة ، يسبغونها عليهم كشهادات تقدير ، تعطى لهم من الأئمة ومن المجتمع الاسـلامي ، فمن هذه الالقاب :

المسنِد : وهو من يروي الحديث بأسناده سواء أكان عنده علم بمعناه ام لم يكن له إلا مجرد الرواية في دقة وحرص .

المحدث : وهو أعلى شأناً من المسند ، بحيث يعرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال ، ويحفظ الكثير من فنون الحديث .

الحافظ : وهو أعلى الدرجات العلمية ، لانه يشترط ان يكون عالماً بشيوخه ، وشيوخ شيوخه ، طبقـة بعد طبقة عالماً بالسنة ، بصيراً بطرقها ، قوي الحفظ كثيره ، حاد التمييز بين الصحيح من الحديث وغير الصحيح .

يقول نقاد الحديث : ان الذين يجوز تسميتهم بالحفاظ قليلون في كل زمان ومكان لما يشترط لهم من نادر الصفات وسعة العلم[1]

---

(١) المجلد الخامس من ترات الانسانية ص ٦٠٧ نقـلا عن الجامع لاخـلاق الراوي ٨ / ١٥٩ .

الفصل الرابع

علم الحديث رواية ودراية

ان علم الحديث رواية يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف الى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة .

ولكل ما أضيف من ذلك الى الصحابة والتابعين على الرأي المختار[1] . وموضوع هذا العلم هو ذات النبي ﷺ من حيث أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته .

وأما فائدة هذا العلم فهي : معرفة ما ثبت عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته كما بينا أعلاه . وغايته : الفوز بسعادة الدارين ، دار الدنيا ودار الآخرة .

أما فضل هذا العلم فانه من أشرف العلوم بعد القرآن الكريم لانه علم تبنى عليه قواعد الاحكام ، وبه تفصل مجملات آيات الكتاب الحكيم . وبه تعرف كيفية الاقتداء بالنبي ﷺ في اقواله وأفعاله وتقريراته . لقوله صلى الله عليه وسلم : (العلم ثلاثة ، آيات محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة ، وما سوى ذلك فهو فضل) .

واضعه : محمد بن شهاب بن مسلم بن عبد الله الزهري المتوفى

---

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه ص ١٠٧ نقلا عن كتاب المنهل الحديث (٣٥)

سنة مائة وخمس وعشرين بأمر من الخليفة الاموي عمر بن عبدالعزيز المتوفى سنة (١٠١) خوف نسيان الحديث واندراسه[1] .

الرواية في عهد الصحابة

حمل الصحابة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاجيال من بعده وربما يغيب عن بعضهم بعض الاحاديث فيحفظه الآخرون ، فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غابت عن البعض لا تغيب عن الكل .

ولقد قرر الشافعي رضي الله عنه في رسالته ان أحاديث الآحاد قد تغيب عن بعض الصحابة ولا تغيب عن كلهم .

وقد كان منهم من يعمل بالحديث وان لم يروه بالنقل . ومنهم من كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم كان مَن يحفظ الحديث ويحتاط له ، فلا يقوله خشية أن يلبس عليه المعنى أو يخطىء في النقل . ويخشى أن ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

روى الذهبي عن إبي عمر الشيباني قال : كنت أجلس الى ابن مسعود حولا لايقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلته الرعدة .

وهذا يدل على أن اولئك العليـة من الصحابة كانوا ينفذون الاحكام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يقولوا : قال الرسول خشية أن يقعوا في الخطأ .

---

(١) عن كتاب خطي للاستاذ كمال الدين الطائي مدرس الحضرة القادرية .

وبجوار اولئك الذين كانوا لايتحدثون بالقول كان من الصحابة من اكثر من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هـذا الفريق أبو سعيد الخدري وأبو هريرة وغيرهم رضى الله عنهم[١] .

روى البخاري[٢] في صحيحه ان أبا هريرة رضي الله عنه قال : ان الناس يقولون اكثر أبو هريرة من الحديث . ولولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثت حديثاً . ثم يتلو :

(ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهـدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا واصلحوا وبيّنوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)[٣]

وفي الجملة أن عصر الصحابة رضي الله عنهم كان عصر العلم النبوي نقله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقين :

أولهما : نقل نصوص الاحاديث وافعال الرسول صلى الله عليـه وسلم وتقريراته .

ثانيهما : نقل علم الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق الافتـاء والقضاء والعمل . وذلك ما كان عليه كبار الصحابة الذين كانوا من أهل الحل والعقد ، كالخلفاء الراشدين ، وكعبد الله بن عباس ، وزيد ابن ثابت ، وغيرهم من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم .

---

(١) كتاب المنتخب من السنة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ص ١٣ .
(٢) كتاب المنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ص ١٤ .
(٣) سورة البقرة الاية (١٦١)

الرواية في عهد التابعين

جاء بعد عصر الصحابة التابعون الذين اتبعوهم باحسان . وكان منهم من التزم بعض الصحابة وتتلمذ عليه ونقل عنه .

وكان لكل مدينة من مدن الاسلام حظ من علماء الصحابة . فكان بمكة من الصحابة الحارث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعبدالله بن صفوان ، وآوى اليها عبدالله بن عباس ترجمان القرآن كما سماه ابن مسعود رضي الله عنهما .

وكان بالكوفة عبدالله بن مسعود وابو موسى الاشعري وعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه . وخباب بن الارت ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان . وكان بالبصرة من اعلام الصحابة أنس ابن مالك ، وعمران بن حصين وابو بكرة بن عبيد ، وغيرهم كثير .

وكان بدمشق معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ، وعبدالله بن عمر وغيرهم .

وكانت المدينة المنورة مأوى للجمهرة الكبيرة من الصحابة في أيام الفتن التي اثيرت بين المسلمين .

وقد تخرج على اولئك الصحابة الذين تفرقوا في المدائن الاسلامية طائفة كبيرة من التابعين كانوا مصدر العلم والعرفان في عصرهم ، وقد جمعوا احاديث الرسول ﷺ وفقه اصحابه .

وهكذا اخذوا يدونون ما كان محفوظاً في صدورهم وما كانوا يسمعونه من الصحابة . واخذ التدوين يزيد شيئاً فشيئاً حتى دعا اليه الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، فقد كتب الى

ابي بكر محمد بن عمرو بن حزم التابعي يقول له : (اكتب الي بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ ، وبحديث عمر ، فاني قد خشيت دروس العلم وذهاب العلماء)[1] . ثم كتب الى ولاة الامصار بذلك .

الرواية بعد عهد التابعين

جاء تابعو التابعين فوجدوا الروايات منقولة على السنة التابعين مدونة في ابواب مختلفة من غير ان يجمع في كتاب قائم بذاته . حتى جاء الامام مالك رضي الله عنه فأخذ يجمع الحديث ويدونه في كتابه الموطأ . قال ابن حجر في مقدمة (فتح الباري على شرح صحيح البخاري) ما نصه :

اعلم علمني الله واياك ، ان آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر الصحابة وكبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لامرين :

أحدهما : انهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

ثانيهما : سعة حفظهم وان اكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة . ثم حدث في آخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الاخبار . وكانوا يصنعون كل باب على حدة الى ان قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الاحكام فصنف الامام مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ، وخرجه باقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن جاء بعدهم . وفي اثناء تدوين مالك لموطئه كان تلاميذ ابي حنيفة

---

(١) كتاب المنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

يدونون الروايات التي رويت عنـه فدون الامام ابو يوسف كتاب الآثار كما دون الامام محمد مثل ذلك الكتاب . وكلا الكتابين منتقى من أخبار وروايات كثيرة . لم يختر الامامان منها إلا ما ثبتت صحته على مقاييسهم . وكلاهما كان ينقد الحديث نقد الصيرفي الماهر الدراهم يرد زيوفها ويقبل صحيحها .

فالموطأ كتاب ضخم . ذلك ان مالكاً فوق انه فقيه المدينـة هو محدثها حتى قال الشافعي تلميذه : (اذا جاء الحديث فمالك النجم اللامع) . ثم اقتفى اثرهم أعلام آخرون ، دونوا الآثار وجمعوها في أبواب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه[1] .

علم مصطلح الحديث

يطلق العلماء على الحديث دراية اسم (علم مصطلح الحديث) أو علم أصـول الحديث . ويريدون به تلك الدراسـات التحليلية والتاريخية لمتون احاديث النبي ﷺ منذ صدورها عنه الى الساعة التي تجري فيها تلك الدراسات مما يتعلق بأحوال وصفات الراوي والمروي.

وقد عرفه بعضهم فقال :

هو علم يعرف به احوال الاحاديث النبوية واسانيدها صحـة وتسلسلًا وضعفاً وعلواً ونزولا ، وكيفية التحمل والاداء وصفات الرجال مما يشنيهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة .

وقيل : هو علم يعرف به أحوال الراوي والمروي من حيث

---

(١) نقل باختصار عن كتاب المنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الاسلاميـة ص (١٨) .

القبول والرد ، وقد جعلوا لهذا العلم عدة مباحث .

المبحث الاول علم الجرح والتعديل :

وهو علم يبحث في عدالة الراوي وقدرته على تحمل الحديث وتمييزه وضبطه وادائه ، واخذه المعنى من الفاظ الحديث على الوجه الصحيح . ان كانت رواية الحديث بالمعنى .

المبحث الثانى علم رجال الحديث :

وهو علم يعرف به رواة الحديث ، هل هم من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين . ثم ماهي درجتهم بين رجال الحديث . وهل هؤلاء الرواة مسندون فقط . أي انهم يروون الحديث باسناده . سواء اكان عندهم علم به أم ليس لهم إلا مجرد روايته . أو كانوا من المحدثين : أي انهم يعرفون الاسانيد والعلل واسماء الرجال وعدالتهم وجرحهم .

المبحث الثالث علم مختلف الحديث :

وهو علم تعرف به الاحاديث التي ظاهرها التناقض من حيث امكان الجمع بينها أم بتقييد مطلقها أو بتخصيص عامها أو حملها على تعدد الحادثة التي قيلت فيها .

المبحث الرابع علم علل الحديث :

هو علم يبحث فيه عن الاسباب الخفية الغامضة من حيث أنها تقدح في صحة الحديث كوصل منقطع ، ورفع موقوف وادخال حديث في حديث ، وما شابه ذلك .

المبحث الخامس علم غريب الحديث :

هو علم يبحث فيه عن بيان ما خفي على كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله ﷺ بعد أن تطرق الفساد الي اللسان العربي .

المبحث السادس علم ناسخ الحديث ومنسوخه :

هو علم يبحث فيه عن الاحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ . فما ثبت تقدمه يقال له : منسوخ وما ثبت تأخره يقال له : ناسخ .

وقد صنف في علم مصطلح الحديث علماء كثيرون ، اولهم القاضي ابو محمد الرامهرمزي في كتابه المحدث الفاصل ، ثم الحاكم أبو عبدالله النيسابوري ، ثم ابو نعيم الاصبهاني ، ثم جاء بعدهم الخطيب ابو بكر البغدادي ، فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه (الكفاية) وصنف في آداب الرواية ايضاً كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع)[1] . وهكذا توالت الكتاب في هذه الابحاث ، وما زالت تتوالى الى يومنا هذا .

---

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه باختصار ص (١٠٧) نقلا عن المنهل الحديث ، والمختصر فى علم رجال الاثر . وكتاب التدريب . والرسالة المستطرفة (١١٥)

الفصل الخامس

كتب الحديث ومراتبها وشروط الراوي

لما جاء العصر العباسي تنبه رواة الحديث وحفاظه الى وجوب تدوينه، ووُجدت هذه النزعة في امصار مختلفة، وفي اوقات متقاربة، حتى لم يعرف منه فضيلة السبق الى تدوين السنة. ويغلب على الظن ان ذلك الجمع كان في نهاية النصف الاول من القرن الثاني الهجري وأوائل النصف الثاني منه فكان من هؤلاء بالمدينة محمد بن اسحاق ومالك بن انس، وبمكة ابن جريج وبالكوفة سفيان الثوري، وبالبصرة حمادة بن سلمة، وسعيد بن ابي عروبة، وباليمن معمر بن راشد، وبخراسان عبدالله بن المبارك، وبالشام عبدالرحمن الاوزاعي، وبمصر الليث بن سعد، غير انه لم يصل الينا مما جمعوه سوى موطأ الامام مالك ووصفٌ لبعض المجموعات الاخرى، وكلها عرف عنها انها مزجت الحديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

ثم جاءت طبقة ثانية على رأس المائتين رأت ان تفرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غيره فألفوا ما يعرف بالمسانيد وهي التي رُتبتْ فيها الاحاديث على حسب رواتها من الصحابة فيذكرون مسند ابي بكر فيدونون فيه كل ما روى عنه مهما اختلفت

الموضوعات ثم يذكرون بعده الصحابة واحداً بعد واحد على هـذا النحو ، ولما جاء أحمد بن حنبل بعدهم نهج نهجهم ، ولذلك سُمي كتابه الجامع للحديث مسند أحمد ، وهذا هو الذي وصل الينا من هـذه المسانيد .

ثم جاءت الطبقة الثالثة في القرن الثالث الهجري الذي نشطت فيه حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف وتعديل الرجال وتجريحهم ، فألفت أهم كتب الحديث ، ومنهـا استمدت الكتب المؤلفة بعدها ، وعليها بَنتْ واعتمدت . وفي طليعة هذه الطبقة كما ذكرت آنفاً :

١ - مسند الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ .

٢ - الامام ابو عبـد الله بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ مؤلف الجامع الصحيح .

٣ - الامام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ مؤلف صحيح مسلم . ويعتبر كتاباهما أصح كتب الحديث .

٤ - سنن بن ماجه لابي عبـدالله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .

٥ - سنن أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ .

٦ - جامـع الترمذي لابي عيسى محمـد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .

وهذه الكتب هي المعروفة في لسان اهـل الحديث بالكتب الستة ، وقد عدت أصح كتب الحديث ، وحازت عند المسلمين درجة

عظيمة في الثقة والاعتبار والقبول . ولاسيما كتاب البخاري ومسلم ومسند الامام أحمد بن حنبل .

شروط الراوي

يشترط في الراوي ان يكون بالغاً مسلماً عدلا حين الاداء لا حين التحمل . ورجحان ضبطه على غفلته[1] .

الاول البلوغ :

فلا تقبل الرواية عن صبي ، لكن لو تحمل صبيا مميزاً ثم روى وهو بالغ قبلت روايته . لانهم اجمعوا على قبول ما رواه ابن الزبير والنعمان بن بشير وانس بن مالك .

الثاني الاسلام :

ولا يشترط ان يكون الراوي مسلما حين تحمل الحديث . لانهم قبلوا حديث جبير بن مطعم في انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بسورة الطور . ولم يكن جبير حينذاك مسلما .

أما اداء الرواية في حال الكفر فلا تقبل اتفاقا . لان هذا دين وكيف يؤخذ دين ممن يخالفه ؟ .

الثالث العدالة :

كذلك لا تشترط العدالة حين التحمل ولكنها تشترط حين الاداء ، والعدالة ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ، وتعرف بالشهرة والتزكية .

---

(١) كتاب اصول الفقه للشيخ محمد الخضري ص (٢٦٠) باختصار .

الرابع رجحان ضبطه على غفلته :

وهذا الشرط لازم من وقت تحمله الحديث الى وقت ادائه .

ويعرف الضبط بالشهرة وموافقته للمشهورين بالضبط في رواياتهم لفظا ومعنى .

وعلى الجملة فان الطعن في الحديث يكون بعشرة اشياء . خمسة منها تتعلق بالعدالة ، وخمسة تتعلق بالضبط . ولم يحصل الاعتناء بتمييز احد القسمين من الاخر .

وترتيبها على الاشد فالاشد في موجب الرد . لان الطعن يكون ١ - لكذب الراوي ، ٢ - لتهمته بالكذب في الحديث ، ٣ - من عرف بالكذب في كلام فيما ليس بحديث ، ٤ - لفحش غلطه ، ٥ - او غفلته ، ٦ - او وهمه ، ٧ - او مخالفته للثقات ، ٨ - او جهالته ، ٩ - او بدعته ، ١٠ - او سوء حفظه .

١ - كذب الراوي . ويكون حديثه موضوعا فلا يقبل منه شيء .

٢ - لتهمته بالكذب فى الحديث ويكون حديثه متروكا .

٣ - اشاعة الكذب عنه في كلامه الذي ليس بحديث .

٤ - فحش غلطه

٥ - لشدة غفلته

٦ - كثرة توهمه

٧ - مخالفته للثقات

٨ - جهالته بسبب كثرة نعوته من اسم ، او كنية ، او لقب ، او صفة ، او حرفة ، او نسب . فيشتهر بشيء منها . فيذكر بغير ما اشتهر

به لغرض . فيظن انه راو آخر فيحصل الجهل بحاله .

٩ - بدعته . كأنْ يبتدع امراً مخالفا للشرع ، او انكر امراً متواتراً من الشرع معلوما من الدين بالضرورة .

١٠- لسوء حفظه . والمراد بسوء الحفظ من لم يرجح اصابته على جانب خطأه وحكم حديثه التوقف عن قبوله او رده .

الفصل السادس

الحديث وأقسامه

قسم العلماء الحديث الى ثلاثة أقسام رئيسية ، فهو اما صحيح ، واما حسن ، واما ضعيف .

الحديث الصحيح

هو الحديث المسند الذي اتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن مثله العدل الضابط ، مرفوعاً الى رسول الله ﷺ .

ثم قسموا الصحيح الى قسمين . حديث صحيح لذاته ، وصحيح لغيره ، فالصحيح لذاته هو ما اشتمل على أعلى صفات القبول ، وتلك الصفات هي : أن يكون راويه عاقلاً ، بالغاً ، ضابطاً ، عدلا ، مسلما .

أما الصحيح لغيره فهو : الحديث الذي لم يشتمل على أعلى صفات القبول ، ولكنه صحيح لأمر اجنبي عنه ، بأن عضدته روايات أخرى موثوق بها .

١ - الحديث المتواتر

وقد يكون الحديث الصحيح متواتراً ، مسنداً ، متصلاً .

فالمتواتر : هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع عن جمع يحيل

العقل والعادة تواطؤهم على الكذب كقوله ﷺ (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) . وحكمه انه يفيد القطع اليقيني بالضرورة .

والمسند : هو الحديث الذي اتصل اسناده من راويه الاول الى راويه الاخير . ولم يسقط منـه شيء ، وقد يقال في وصفه : انه متصل ، أو موصول .

٢ - الحديث الحسن

هو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط ، سالم من الشذوذ والعلة . والحسن نوعان ايضاً . حسن لذاته ، وحسن لغيره .

أما الحسن لذاته فهو ما كان حسنه منبثقاً من ذاته لا من شيء آخر . فهو كالصحيح في شروطه ، وان كان أخف منه بضبط رجاله .

أما الحسن لغـيره فهو ما كان أحد سنده مستوراً لم تتحقق أهليته ، ولا عدم أهليته ، غير انه ليس مغفلا كثير الخطأ ، ولا متهماً بالكذب ، وقد يكون متنه معضداً برواية أخرى ممـاثلة له ، تتابع لفظه ، أو تشهد لمعناه .

وقد يسمى الحديث الصحيح غريباً اذا تفرد بروايتـه واحد ثقة ، ويسمى مشهوراً اذا اشتركت جماعـة في روايته عن الشيخ الثقة [1] .

---

(١) كتاب علوم الحديث ومصطلحه ص (١٥٢) . وقيل : ان الحديث المشهور هو ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم برواية آحاد في القرن الاول ، ثم انتشر حتى نقله قوم لا يتوهم توافقهم على الكذب في القرنين الثاني والثالث .

٣ - الحديث الضعيف

هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا صفات الحديث الحسن . بان كان رواته غير عدول ، ولم يكونوا مستورين بل عرفوا بالكذب أو كانوا مستورين ولم تتعدد أوجه رواياتهم ، أو كان في الحديث شذوذ ، أو علة خفية ، والحديث الضعيف انواع ، ابعدها عن القبول الحديث الموضوع الذي قام الدليل على كذبه ، قال النووي : الحديث الضعيف عند تعدد الطرق يرتقي من الضعف الى الحسن ويصير مقبولا [1] .

٤ - الحديث المرسل

هو الحديث الذي سقط منه الصحابي ، وفقد الاتصال في السند ، وسمى مرسلًا لأن راويه أرسله واطلقه فلم يقيده بالصحابي الذي رواه . فهو على الارجح ضعيف وليس بصحيح . مثال ذلك أن يقول التابعي : قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعَل كذا ، أو فعِل بحضرته كذا .

والمرسل يحتج به عند جمهور التابعين ، وقد لايرونه ضعيفاً .

٥ - الحديث المنقطع

هو الحديث الذي سقط من أسناده رجل ، أو كان أحد أسناده مبهماً ، وقيل : هو الذي سقط من رواته راو واحد قبل الصحابي ،

---

(١) كتاب المنتخب من السنة للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ص (٣٥) .

فخرج بالواحد الحديث المعضل ، وخرج بما قبل الصحابي الحديث المرسل .

٦ - الحديث المعضل

هو الحديث الذي سقط منه راويان فاكثر بشرط التوالي ، والمعضل أضعف حالا من المنقطع ، والمنقطع أضعف حالا من المرسل وقد يطلق لفظ المعضل على الحديث الذي أشكل معناه وان لم يسقط أحد من سنده .

٧ - الحديث المدلس

التدليس لغة : هو اخفاء العيب ، وأصله من الدلس ، وهو اختلاط الظلام .

ثم ان المدلس يطلق على ثلاث حالات . تدليس الاسناد ، وتدليس الشيوخ ، وتدليس التسوية .

تدليس الاسناد : هو أن يسقط اسم شيخه الذي سمع منه ، ويرتقي الى شيخ شيخه بقوله : عن فلان ، أو قال فلان .

وتدليس الشيوخ : هو أن يسمى شيخه الذي سمع منه بغير اسمه المعروف به أو أن يسمى شيخه بغير ما عرف به من نسب أو صفة لكيلا يعرف .

وتدليس التسوية : هو أن يسقط ضعيفاً بين شيخين ثقتين فيستوي الاسناد كله ، وهذا أشر أنواع التدليس .

وعلى الجملة ان الحديث المدلس : هو ذلك الحديث الذي يؤديه الراوي عمن عاصره ، ولقيه مع انه لم يصح له سماعه منه أو عمن عاصره

ولكنه لم يلقه موهما انه سمعه من لم يحدثه به . مثال ذلك قول علي بن خشرم . كنا عند سفيان بن عيينة فقال : قال الزهري : كذا . فقيل له : أسمعت منه هذا ؟ . قال : حدثني به عبدالرزاق عن معمر عنه .

فسفيان قد عاصر الزهري ولقيه ، ولكنه لم يأخذ عنه فيصح سماعه منه . وانما اخذ عن عبدالرزاق ، وعبدالرزاق اخذ عن معمر ، ومعمر اخذ عن الزهري .

فالتدليس هنا اسقاط سفيان شيخيه ، وايراده الحديث بصيغة توهم سماعه من الزهري مباشرة .

٨ - الحديث المعلل أو المعلول

هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته وان كان يبدو فى الظاهر سليما من العلل .

قال ابن حجر : (انه من اغمض انواع علوم الحديث وأدقها ، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهما ثاقباً ، وحفظاً واسعا ، ومعرفة تامة بمراتب الرواة ، وملكة قوية بالاسانيد والمتون) .

وقال عبدالرحمن بن مهدي : معرفة الحديث هي إلهام من الله ، فلو قلت للعالم بعلل الحديث : من أين قلت هذا ؟ لم يكن له حجة . وقيل له ايضا : انك تقول للشيء هذا صحيح ، وهذا لم يثبت ، فعمن تقول ذلك ؟ فقال : أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك فقال : هذا جيد ، وهذا بهرج ، اكنت تسأل عن ذلك أو تسلم له الامر ؟ قال : بل أسلم له الامر . قال : فهذا كذلك ، لطول المجالسة والمناظرة والخبرة .

وقالوا في تعريفه ايضا : انه حديث ظاهر السلامة ، لكن فيه علة خفية يعرفها الناقد البصير في شؤون الحديث .

وقد تقع العلة في الاسناد ، وفي المتن . أما وقوعها في الاسناد فقد تدرك بتفرد الراوي ، وبمخالفة غيره له مع قرائن تنضم الى ذلك وتنبه الناقد على وهم وقع بارسال موصول ، اوقف مرفوع ، أو دخول حديث في حديث .

واما وقوع العلة في المتن فقد تدرك بزيادة او نقص في متن الحديث كحديث الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعي عن قتادة بن دعامة السدوسي يخبره عن انس بن مالك انه حدثه قال : صليت خلف النبي ﷺ ، وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ، لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخره اخرجه مسلم .

فقد اعلّ الشافعي وغيره هذه الزيادة التي فيها عدم البسملة بأن سبعة او ثمانية خالفوا ذلك واتفقوا على الاستفتاح بالحمد لله رب العالمين ولم يذكروا البسملة .

٩ – الحديث الشاذ

هو الحديث الذي رواه الثقة مخالفا الثقات . قال الشافعي : ليس الشاذ من الحديث ان يروي الثقة ما لا يرويه غيره ، هذا ليس بشاذ ، انما الشاذ ان يروي الثقة حديثا يخالف فيه الناس . فالشاذ إذن لايلاحظ فيه مطلق التفرد ، بل التفرد والمخالفة في آن واحد .

وبهذا الاصطلاح اخذ كثير من علماء الحجاز ، وانتصر لهذا

التعريف ابن الصلاح ، واستنتج منه ابن كثير - ان الثقـة اذا روى مالم يروه غيره فروايته مقبولة اذا كان عدلا ضابطا حافظا . فان هذا لو رد لردت احاديث كثيرة من هذا النمط ، وتعطلت كثير من المسائل عن الدلائل .

ويقول ابن القـيم . انما الشذوذ أن يخالف الثقة الثقـات فيما رووه . فأما اذا روى الثقة حديثاً منفرداً به ولم يرو الثقات خلافه ، فان ذلك لا يسمى شاذاً [1] .

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص (١٩٦) .

الفصل السابع

١٠ - الحديث المشترك
بين الصحيح والحسن والضعيف

الحديث المشترك بين الصحيح والحسن والضعيف هو ذلك الحديث الذي يتصف بالصحة تارة وبالحسن تارة ، وبالضعف تارة اخرى . فقد يكون الحديث المشترك مرفوعاً ، أو مسنداً ، أو متصلاً .

فالحديث المرفوع هو أن يقول الصحابي سمعت النبي ﷺ يقول : كذا ، أو رأيت النبي ﷺ يفعل : كذا ، أو فعلت بحضرة النبي ﷺ كذا .

والحديث المسند : ما اتصل اسناده من راويه الى منتهاه مرفوعاً الى النبي ﷺ . واتصال الاسناد فيه أن يكون كل واحد من رواته سمعه ممن فوقه حتى ينتهي الى آخره .

أما الحديث المتصل فهو : ما اتصل سنده سواء اكان مرفوعاً الى النبي ﷺ أم موقوفا على الصحابي أو من دونه .

وعلى ذلك ان الحديث المرفوع قد يكون متصلاً وغير متصل ، وان المتصل قد يكون مرفوعاً ، وغير مرفوع . وان الحديث المسند

اتم من الحديث المرفوع والمتصل ، فهو في الوقت نفسه متصل ومرفوع .

فهذه الاحاديث جميعاً صالحة في ذاتها لأن تكون صحيحة أو حسنة أو ضعيفة تبعا لحال رواتها .

وكذلك القول في الاحاديث المعنعنة ، والمؤننة ، والمعلقة . فانها هي الاخرى تكون مشتركة فتوصف بالصحه والحسن والضعف تبعا لحال رواتها .

فالحديث المعنعن : هو ما يقال في سنده فلان عن فلان من غير تصريح بالتحديث والسماع . وهو من قبيل الاسناد المتصل اذا توافرت فيه ثلاثة شروط : عدالة الرواة ، وثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه ، والبراءة من التدليس .

وأما الحديث المؤنن فهو الذي يقال في سنده : حدثنا فلان ان فلانا قال : كذا . وجعله الامام مالك كالحديث المعنعن سواء بسواء .

وأما الحديث المعلق : فهو ما حذف من مبدأ اسناده واحد فاكثر على التوالي . وينسب الحديث الى مَن فوق المحذوف من رواته ، مثاله : قال عثمان بن الهيثم ابو عمرو : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت له : والله لارفعنّك الى رسول الله ﷺ .. الحديث .

وكذلك الشأن بين الحديث العزيز والمشهور والمستفيض .

فالعزيز : هو الحديث الذي رواه اثنـــان عن اثنين عن أحد التابعين ممن يجمع حديثه كالزهري وقتادة .

وسمى بالعزيز اما لقلة وجوده ، او لكونه َقوِيَ بمجيئه من طريق آخر َفقوِىَ وعزّ .

مثاله ما رواه الشيخان من حديث انس بن مالك ، والبخاري من حديث ابي هريرة . ان رسول الله ﷺ قال :

(لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده) .

فقد تحقق بهذا انه رواه عن رسول الله ﷺ صحابيان هما انس وابو هريرة رضي الله عنهما . ورواه عن كل منهما ما لا يقل عن اثنين .

والحديث المشهور : هو الحديث الذي روته جماعـة ثلاثة أو اكثر كقوله ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فهـذا الحديث مشهور عند أهل الحديث والعلماء والعوام في آن واحد .

واكثر امثلته تصلح للحديث المستفيض . وقيل فرق بينهما فقالوا :

الحديث المستفيض : هو الحديث الذي يكون في ابتـدائه وانتهائه سواء والحديث المشهور أعم من ذلك ، لأن الجمـاعة التي تروى المشهور ثلاثة او اكثر ، فطرقه محصورة من اثنين ، بينما يخصص المستفيض بالاكثر من ثلاثة .

الحديث القدسي

الحديث القدسي : هو ما اخبر الله تبارك وتعالى به نبيه بالهام أو منام ، او بواسطة جبريل عليه السلام مفوضا اليه التعبير بأية عبارة شاء من انواعِ الكلام .

جاء في كليات أبي البقاء ٢٨٨ ان الحديث القدسي هو ما كان لفظه من عند الرسول ، ومعناه من عند الله بالالهام أو بالمنام . والفرق بين الوحي المتلو وهو القرآن والوحي المروى عنه ﷺ عن ربه عزّ وجل هو : أن القرآن الكريم موحى بلفظه وترتيب سوره وآياته ، فليس للنبي فيه إلا التبليغ .

ثم ان القرآن ثابت نقله بلفظه وترتيبه بطريق التواتر ، ولا يضاف إلا الى الله تعالى .

أما الحديث القدسي فقد نقل بطريق الآحاد ، ففيه الصحيح وغيره كسائر الاحاديث النبوية . وهو يضاف الى النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه .

الحديث الموضوع

هو الحديث الذي افتراه راويه على رسول الله ﷺ ، باصطناع سند كذب ينتهي به الى النبي ﷺ .

أسباب الوضع

ان أسباب الوضع كثيرة ، منها :

١ - حقد الزنادقة والشعوبيين على العرب والاسلام لما أفاء الله عليهم من نعمة الرسالة المحمدية .

٢ - قصد التزلف ، والتقرب عند بعض الخلفاء ، والامراء ، وذوي السلطان .

٣ - شيوع المذاهب الهدامة ، والانتصار لها زوراً وبهتانا .

٤ - رغبة في الحصول على المال ، وكسب أسباب العيش .

٥ - حب الظهور بمظهر العالم الجليل بين الذين يحدثهم من عامة الناس، ورعاعهم .

كيف يعرف الحديث الموضوع

يعرف الوضع بأمور ، منها :

١ - أن يقر واضعه ، بأنه وضع من نفسه حديثاً كذبا ، كما فعل أبو عصمة نوح بن أبي مريم ، فإنه أقرّ بوضعه على عبدالله بن عباس أحاديث في فضائل القرآن سورة ، سورة ، وكما أقرّ عمر بن صبيح بأنه وضع خطبة للنبي ﷺ .

٢ - كون الحديث المروى ركيك اللفظ والمعنى كأن يكون فيه تعقيد ، وفيه لحن ، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يقول ذلك .

٣ - كون معنى الحديث مخالفاً للعقل ضرورة ، غير قابل للتأويل ، كحديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المعروف بكذبه ، بأن أباه حدثه عن جده عن رسول الله ﷺ : ان سفينة نوح طافت بالبيت ، وصلّت خلف المقام ، ركعتين .

٤ - أن يتضمن الحديث المروى الافراط بالوعيد الشديد على الامر البسيط كالخلود في جهنم لترك مندوب أو فعل مكروه ، أو يتضمن الخلود في جنات النعيم لفعل مندوب أوترك مكروه .

٥ - أن يخالف الحديث المروي دلالة الكتاب القطعية ، أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعي ، كالحديث الذي وضعه أحد الملاحدة

فقال مسنداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ربي بـ ى
يوم النفر على جمل أورق[1] عليه جبة صوف أمام الناس .

٦ ـ أن ينقب عنه طالبه فلا يجده في صدور العلماء ، ولا في بطون الكتب .

٧ ـ أن يكون الحديث خبراً عن أمر جسيم تتوفر الدواعي على نقله بحضر جمع عظيم ، ثم لا يرويه إلا واحد .

---

(١) الجمل الأورق هو الذي لونه لون الرماد .

الفصل الثامن

أحاديث مختارة من كتب الصحاح

وكتاب المجازات النبوية

١ – متن الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنىً ، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله) .

الشرح

أول ما يجب على الانسان أن يكون قوياً بنفسه ، معتمداً على اجتهاده ، يكسب بالوسيلة الشريفة ، مستغنياً بما عنده مترفعاً عن مدّ يده الى الناس ، والمسلم الذي يعطي من ماله خير من المسلم الذي يأخذ من صدقة غيره . ذلك لأن اليد المنفقة هي اليد العليا ، واليد السائلة هي اليد السفلى . وأفضل الانفاق هو ما ينفقه الانسان على المحتاجين من أهله وذوي قرباه ، وعلى المجاهدين الذين وقفوا انفسهم للدفاع عن أمتهم وبلادهم كالفدائيين الآن ، وعلى الضعفاء العاجزين عن كسب قوتهم اليومي .

والصدقات عموماً عمل صالح ، ولكن ينبغي أن تكون عن سعة ، ويسر . كما يجب على الانسان أن يترفع عن طلب الصدقة ويستغني عنها ولا سيما اذا كان قادراً على العمل ، لأن الله يحب المتعففين الصابرين ويغني العاملين المجتهدين . ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله .

٢ - متن الحديث

من قال حين يسمع النداء : (اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة ، القائمة ، آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة ، وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ،) حلت له شفاعتي يوم القيامة[١] .

الشرح

يريد بالنداء تمامه ، ليكون آتيا باجابة المنادي قبل هذا الدعاء ، ... يرشدك الى ذلك قوله في حديث آخر اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن اكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة .

والدعوة التامة هي ما في النداء من طلب الاقبال على العبادة ، وصفت لذلك باشتمالها على عقيدة التوحيد ، وهي أتم القول واكمله ، والصلاة القائمة ، أي المقومة الاركان ، أو الدائمة من قام على الشيء اذا داوم عليه ، والوسيلة في الاصل ما يتوصل به الى الشيء ، ويتقرب

---

(١) كتاب : هداية الباري الى ترتيب احاديث البخاري الجزء ٢ ص (٢٢٤)

به اليه ، وتطلق على المنزلة كما تقدم لك ، وهذا المعني هو المعنى هنا .
والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل ، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى ، وأراد بالوعد ما في قوله تعالى (عسي أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وحلت بمعنى وجبت .

٣ - متن الحديث

(اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجْلَ ان ذلك يحزنه)[١] .

الشرح

النفي في الحديث بمعنى النهي ، والتناجي معناه : التسار والتخافت بالقول حتى لا يسمعهما . أجْلَ : أي من أجل ان ذلك يدخل على قلب من يجالسهما الوحشة والحزن والشعور بأنه ليس موضع ثقة المتناجيين .

وهذا شأن من الشؤون الاخلاقية ، وأدب من الآداب الاجتماعية ، يقصى الشكوك من مقاربة الصدور ، ويقي المعتصم بحبله من وباء النفور ، فيلزم المرء اذا كان ثالث ثلاثة أن لا يؤثر احد الجليسين بالتناجي دون الآخر ، فالتعليل ظاهر ، لانه قد تذهب به فنون الظنون الى ان نجواهما انما هي لسوء رأيهما فيه ، أو لانهما يريدان به غائلة ، وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط بالغير .

والنهي ليس قاصراً على هذا العدد ، وانما آثره بالذكر لانه اول

---

(١) كتاب هداية الباري الجزء الاول ص (٦٧) الحديث متفق عليه .

عدد يتصور فيه هذا المعنى، فمهما وجد فيه أ لحق به في الحكم، بل وجوده في العدد الكثير امكن، فليكن في المنع اولى.

٤ - متن الحديث

قال رسول الله ﷺ (الحلال بين، والحرام بين، وبينهما متشابهات[٢]، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى، يوشك ان يواقعه، الا وان لكل ملك حمى، الا إن حمى الله في ارضه محارمه، الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب.

الشرح

(١) الحلال: هو ما أذن فيه المشرع، سواء اكان واجباً، او مندوباً، او مكروها، او مباحا.

(٢) والحرام: ما نهى عنه المشرع نهياً جازماً. حيث يعاقب على فعله.

(٣) والمتشابهات: ما شبهت بغيرها ما لم يتبين حكمها على التعيين.

(٤) أما البراءة فهي: خلوص الشيء من غيره، ومعنى استبرأ: طلب البراءة أي الخلوص لدينه من النقص، وعرضه من الطعن.

(٥) يقال: أحميت المكان اذا جعلته محمياً، ومنعت من يقرب منه.

والمعنى: ان الحلال المحض والحرام المحض قد بينت أدلتهما، وظهر المعنى الذي من أجله أحل الله الحلال، وحرم الحرام.

---

(١) كتاب المنتخب من السنة عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية. المجلد الأول ص ٢٩٦.

(٢) متشابهات - شبهت بغيرها مالم يتبين به حكمها على التعيين.

غير ان هناك اموراً اخذت من جانب الحلال شيئاً ، ومن جانب الحرام شيئاً ، وقد بين الرسول ﷺ ما ينبغي أن يحتذيه المكلف فيها ، ومثل له مثلاً بالراعي يرعى حول الحمى : يوشك أن يواقعه فالخير له أن يبتعد عنه ، ولا يتعرض للوقوع فيه[1] . والقلب هو الحكم في ذلك . والمكلف أمين على مفهوم ادراكه ، وعقله وفي الحديث (استفت قلبك وان افتاك الناس وافتوك) .

٥ — متن الحديث

لا ضرر ولا ضرار

هذا حديث شريف رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً الى النبي ﷺ ولم يحذفوا من سنده احداً . ولقد رواه الامام مالك في الموطأ فأسقط واحداً من سنده فصار مرسلاً . ولهذا الحديث طرق يقوّي بعضها بعضاً والضرر معناه الحاق مفسدةٍ بالغير مطلقاً أي مهما كان نوع هذه المفسدة .

والضِرار معناه الحاق مفسدة بالغير على قصد المشاركة والمقابلة بالمثل . ومعنى ذلك ان كل واحد من الخصمين يعمل لايقاع الضرر بخصمه انتقاماً لنفسه وتشفياً من غريمه كما يفعل أهل هذا الزمان .

أما حكم الاسلام في مثل هذه الاحوال فهو حكم عدل رُوعِي فيه ضمان مصلحة الخلق جميعا على مدى الازمان والاجيال . فقوله ﷺ (لا ضَرَرَ ولا ضِرار) على ايجازه فقد جمع البلاغة

---

(١) كان الشريف فى الجاهلية اذا نزل ارضاً اختطها له لا يشاركه فيها أحد ، وهو يشارك القوم فى سائر ما يرعون .

والحكمة من اطرافها . واحتاط لما يجب ان تكون عليه المصلحة البشرية حيطة تامة . ليس لها مثيل في تاريخ الفكر البشري ولا يرقى اليه التشريع الوضعي مهما حَذِقَ مشرعوه ومهما احتاطوا له .

ان في هذا الحديث الشريف حداً فاصلاً بين الافعال الحيوانية والافعال الانسانية . إذ الحيوان الاعجم خلوٌ من العقل عاجزٌ عن النطق . أما الانسان فأعطاه الله خَلقا خاصا به ، أعطاه عقلاً مدبراً ، ولسانا ناطقا وعواطف نبيلةً وارادةً قوية . ثم ارسل له الرسل تبشره وتُنذره وانبأته بأن له حياتين حياة الدنيا وحياة الآخرة فان عَمِل سوءاً وأفلت من عقوبته في الاولى فلن يُفلت من العقوبة في الثانية . كل ذلك يفرض عليه أن يتميز بأفعاله عن افعال العجماوات حفظا لنفسه على الاقل واحتراما لما أودعه الله تعالى فيه من مزاياه الحسان ميزةَ العقل والارادة واللسان .

يقول علماء الاجتماع إن الانسان مدني بالطبع ويقصدون بذلك انه لايستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً عن ابناء جنسه دون أن ينتظم في مجتمع ويتقيد بشريعة ويلتزم بقانون ويسلك في حياته مسلكا وفق ما التزم به ابناء جنسه وافراد مجتمعه . ان هذا المعنى الذي يعنيه علماء الاجتماع لا يمكن ان يتحقق ما لم يتحقق مضمون هذا الحديث الشريف (لا ضَرَرَ ولا ضِرار) فاراقة الانسان دمَ أخيه الانسان ضررٌ عليه وهتكه عرض غيره ضرر عليه واحتكاره قوت الناس ضررٌ عليهم وربحه اضعافا مضاعفةً في البيع والشراء ضرر على المجتمع الذي يعيش فيه . والضرر إن لم يكن حالا فقد يكون مآلا . فالمسلم المؤمن بالله واليوم الآخر يجب عليه ان يتجنب

الضرر والاضرار وإلا فانه يكون قد خالف امر الله وأمر الرسول ثم انه يكون عرضة لنقمة الله ونقمة المجتمع ونقمة التاريخ . لنعكس الامر ونسأل هؤلاء الذين يتعمدون ايقاع الاضرار بغيرهم هل يحبون ان يَعتدي عليهم غيرُهم اعتداءً قلّ أو كثُر ويعبث بهم كما يعبثون بغيرهم . اتراهم يتقبلون ذلك بدون حزن وألم ؟ بالطبع لا يرضيهم ذلك . اذاً علام لا تفكر ايها المعتدي قبل مباشرتك العدوان .

اعلم ان اي نوع من الضرر توقِعهُ بغيرك يرجع اليك وان كنت لا تحسه آنيا . ذلك ان للحياة قانونا طبيعيا في المثوبة والعقوبة تعطي كل ذي حق حقه فتكافىء المحسن وتجازى المسيء ولو بعد حين فقوله ﷺ لا ضرر ولا ضرار فيه انذار بالغ الاهمية لما تؤول اليه عاقبة المعتدين الذين يضر بعضهم بعضا .

ثم ان هذا الحديث يضع حدوداً للافراد والجماعات والامم فلا ينبغي تجاوزُها بناءً على ما يتراءى للانسان من المنفعة الوقتية الخاصة . لأن المصالح الخاصة مقيدة بالمصالح العامة فمصلحة الأسرة فوق مصلحة الفرد ومصلحة الأمة فوق مصلحة الأسرة . وعلى هذا الاساس انشأت الدول الادعاء العام وجعلت له حقا يخضعُ له كلُ فرد مهما علت منزلته وارتفع مقامه .

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما .

* * *

المختار من كتاب المجازات النبوية

٦ - متن الحديث

(المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، ويرد عليهم اقصاهم ، وهم يد على من سواهم) .

الشرح

المسلمون تتكافأ دماؤهم - اي ان دماء المسلمين على اختلاف مللهم وتباعد امكنتهم متساوية لايفضل بعضها بعضا في شأن مايترتب عليهم من الديات .

وقوله : يسعى بذمتهم ادناهم . اي اذا اعطى احدهم عهداً مهما كانت منزلة هذا المعطي فان عهده يسري على بقية المسلمين ، ويكونون ملزمين بوفاء عهده .

وقوله ، ويرد عليهم اقصاهم - اي ان المسلمين الذين يحصلون على الغنائم في الحرب ينبغي عليهم ان يشركوا بقية المسلمين فيها ، وذلك عن طريق ايداعها في بيت المال ، وتوزيعها على الجميع من قبل الامام .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام - وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز . ولذلك وجهان :-

احدهما - ان يكون شبه المسلمين في التضافر ، والتوازن ، والاجتماع والترافد ، باليـد الو ،احدة التي لا يخالف بعضها بعضا في البسط والقبض ، والرفع ، والخفض ، والابرام ، والنقض .

ثانيهما - ان تكون اليد هاهنا بمعنى القوة . اي وهم قوة على من سواهم .

٧ - متن الحديث

(لا يلقى اللهَ عبدٌ لم يشرك بالله شيئا ، ولم يتند بدم حرام إلا دخل الجنة ، من اي ابوابها شاء) .

الشرح

فقوله عليه الصلاة والسلام (ولم يتند بدم حرام) مجاز لانه اراد لم يصب دما حراما ، فجعل عليه الصلاة والسلام الذي يسفك الدم متنديا به ، وان كان لم يبـاشر سفكه بنفسه ، لأن الاغلب فيمن يتولى سفك الدم مباشرة ان يصيبه منه بلل ، ويشهد عليـه اثره .

٨ - متن الحديث

(الحياء نظام الايمـان)

وهذه استعارة ، والمراد ان الحياء يجمع صفات الايمان كما يجمع السلك فرائد النظام . لأن الانسان الكثير الحياء يحجم عن مواقعة المعاصي . فاذا قلّ حياؤه تفرق جُمّاع ايمانه ، فأشبه السلك، في انه اذا انقطع السلك تهافتت خرز نظامه .

٩ – متن الحديث

قال عليه الصلاة والسلام : (ألا ان عمل الجنـة حَزن بربوه ، ألا ان عمل النار سهل بسهوة ، وما من جُرعة أحبُ الى الله سبحانه من جُرعة غيظ يكظمها عبد) .

الشرح

في هذا الكلام مجازان ، أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : ألا ان عمل الجنة حَزن بربوة ، ألا ان عمل النار سهل بسهوة[1] فجعل عليه الصلاة والسلام عمل الجنـة كالحزن من الارض ، وهو ما غلظ منها ، لانه يصعب تجشمه فكذلك عمل الجنـة يشق تكلفه ، وزاد عليه الصلاة والسلام الكلام ايضاحاً بقوله حزن بربوة ، فلم يرض بان جعله حزنا حتى جعله بربوة ، وهي الاكمة العاليـة ، ليكون تجشمه أشق ، وتكلفه أصعب ، ولم يرض عليه الصلاة والسلام ، بأن جعل عمل النار سهلاً ، وهو ضد الحزن حتى جعله بسهوة ليكون أخف على فاعله ، وأهون على عامله .

والمجاز الآخر قوله عليه الصلاة والسلام: وما من جُرعة أحب الى الله سبحانه من جُرعة غيظ يكظمها عبد ، فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجرعـة المؤثرة التي يُجرعها الانسان فيجد مذاقها مراً ، ويجد غِبها حلواً ، ولهـذا المعنى شبهوا ما يجده الانسان من حرارة حزن وحرارة هم بالشجا المعـترض في الحلق ، وشبهوا ما يلحقه من منظر يأباه وملحظ لايهواه بالقذى العارض في

(١) السهوة : الارض اللينة التربة .

الطرف ، لأن الاول يحبس مجاري انفاسه ، والثـاني يمنـع مجال الحـاظه[1] .

١٠– متن الحديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم وزير الايمـان العلم ، ونعم وزير العلم الحلم ، ونعم وزير الحلم الرفق ، ونعم وزير الرفق اللين .)

الشرح

وهـذا الكلام مجـاز ، والمراد كل خـلّة من هذه الخـلال المذكورة توازر صاحبتها ، وتعـاهد قرينتها ، وتقوَى كلٌ واحدة منها بأختها ، كما يوازر الرجلُ صاحبه على الامر يطلبـه ، والعدو يحاربه ، فيشتد متناهما ، وتستحصف قواهما .

١١– متن الحديث

قال عليه الصلاة والسلام : ان هذا الدين متين ، فأوغل فيـه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

الشرح

وصف الدين بالمتـانة ها هنا مجاز ، والمراد انه صعب الظهر شـديد الاسر ، مأخوذ من متن الانسان ، وهو ما اشـتد من لحم منكبيه . وانمـا وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك لمشقة القيـام

(١) من كتاب المجازات النبوية ص (٢٦٨) .

بشرائطه ، والاداء لوظائفه ، فأمر عليه الصلاة والسلام أن يدخل الانسان أبوابه مترفقاً ، ويرقى هضابه متدرجاً ، ليستمر على تجشم متاعبه ، ويمرن على امتطاء مصاعبه . وشبه عليه الصلاة والسلام العابد الذي يحسر مُنته ، ويستنفد طاقته بالمنبت ، وهو الذي يُغذ السير ، ويكد الظهر منقطعاً من رفقته ، ومنفرداً عن صحابته فتحسر مطيته ، ولا يقطع شقته . وهذا من أحسن التمثيليات ، وأوقع التشبيهات .

١٢- متن الحديث

(من كانت الدنيا همَّه وسدَمه جعل الله فقراً بين عينيه) .

الشرح

وهذا الكلام مجاز ، والمراد به ان من جعل الدنيا همه ، وقرّ عليها باله ، واعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، واقبل على تثمير الاموال ، واستضخام الاحوال ، عاقبه الله على ذلك ، بأن يزيد فقر نفسه ، وضَرَعَ خده ، فلا تسد مفاقِرَه كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما أثّلَ وثمر ، فكأنه يرى الفقر بين عينيه ، فهو ابداً خائف من الوقوع فيه ، والانتهاء اليه ، فلا يزال آكلاً لا يشبع ، وشارباً لا يقنع ، فمعه حرص الفقراء وله مال الاغنياء ، وقال عليه الصلاة والسلام : (جعل فقراً بين عينيه مبالغة في وصفه ، بتصور الفقر ، فكأنه قريب منه ، وغيره غائب عنه ، كما يقول القائل لغيره اذا أراد هذا المعنى ، (حاجتك بين عيني) أي هي متصورة لي ، وغير غائبة عن قلبي) .

١٣- متن الحديث

(حبك الشيء يُعمي ويُصِم) .

الشرح

وهذا مجاز . لان حب الشيء على الحقيقة لا يعمي ، ولا يصم ، وانما المراد ان الانسان اذا أحب الشيء أغضي عن مواضع عيوبه ، كانه لا ينظرها ، وأعرض عن الملاوم ، والمعاتب من أجله ، كانه لا يسمعها فصار من هذا الوجه كالاعمى لتغاضيه ، وكالاصم لتغابيه .

[تم الكتاب ولله الحمد]

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع

رقم الصفحة	الموضوع
	الباب الثاني — الفصل الاول

رقم الصفحة	الموضوع

الكتب المطبوعة للمؤلف

١ - الادب ومذاهب النقد فيه

٢ - دراسات في النقد الادبي الجزء الاول

٣ - دراسات في النقد الادبي الجزء الثاني

٤ - تحقيق ديوان العرجي بالاشتراك مع زميل

٥ - شرح واعراب شواهد نحوية

٦ - دليل النحو الواضح بالاشتراك مع زميل

٧ - سلسلة كتب في القراءة للاميين لوزارة المعارف بالاشتراك مع زملاء .

٨ - كتاب في التفسير والحديث

الكتب التى تحت الطبع

١ ـ معالم الطريق الى حياة افضل

٢ ـ المذاهب الادبية الحديثة

٣ ـ قالت لي نفسي وقلت لها

٤ ـ رسالة في فلسفة الجمال

٥ ـ رسالة في الامثال العربية

٦ ـ المقارنات الادبية في الادب القديم والحديث

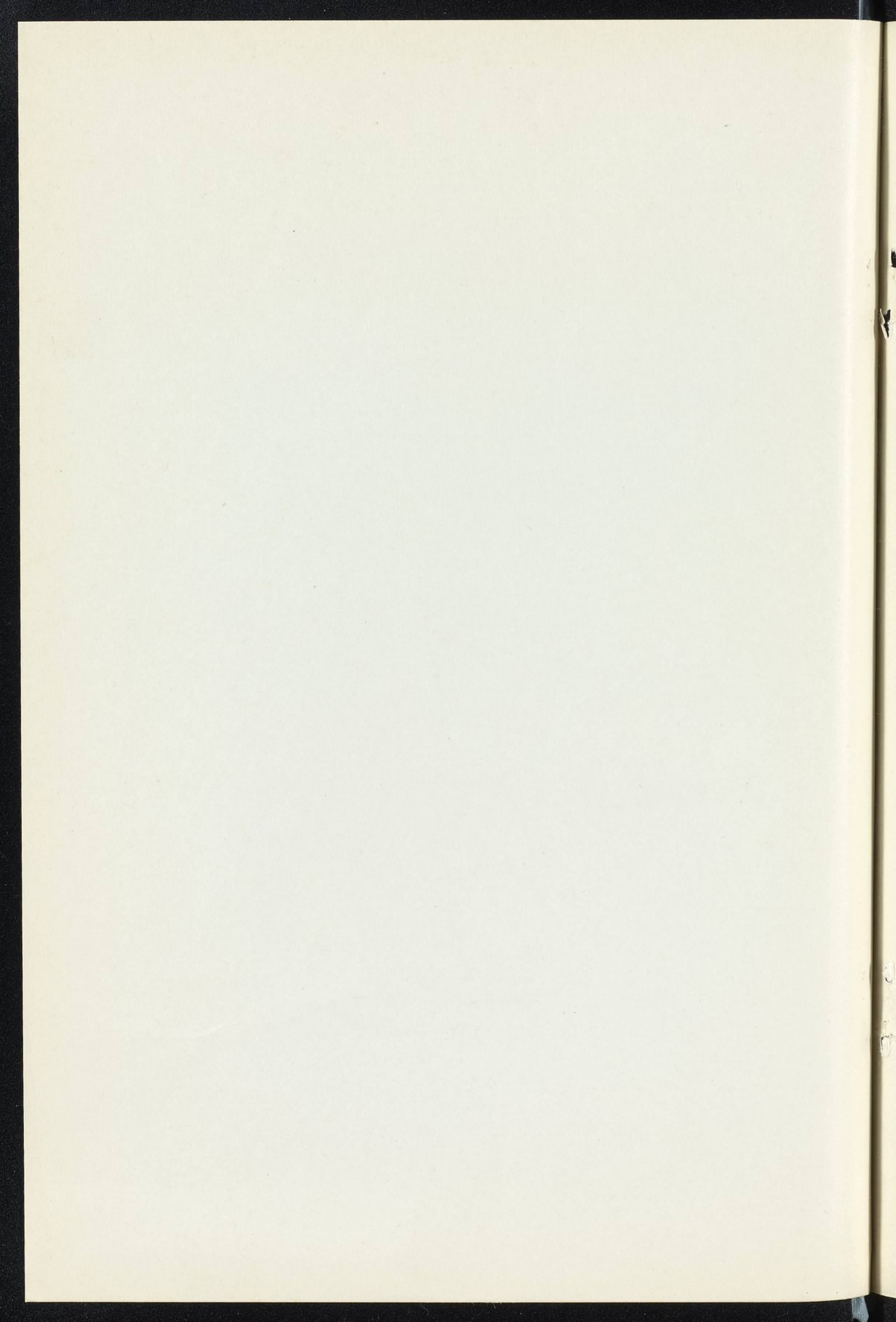
٧ ـ رسالة في فلسفة التشريع الاسلامي

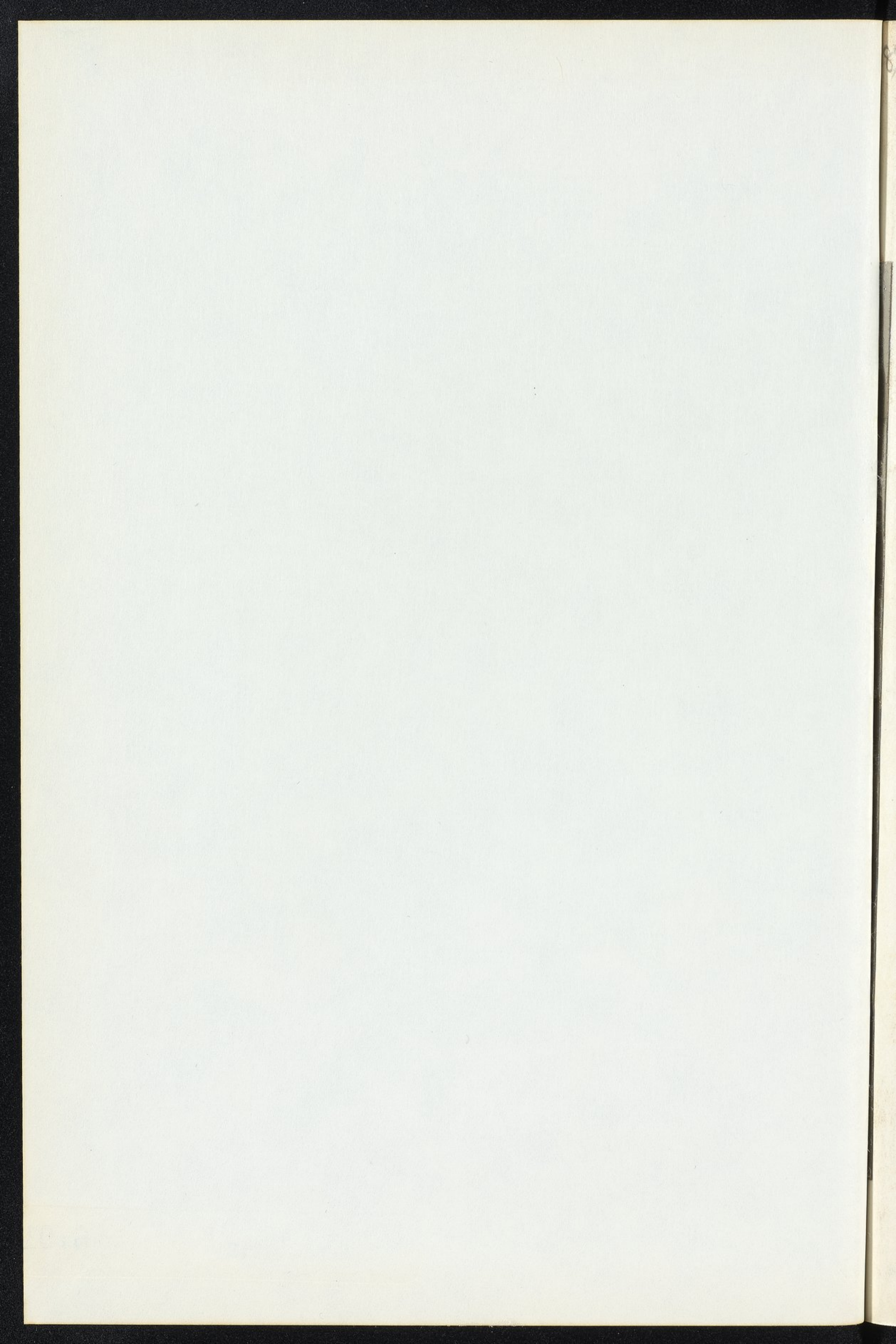
٨ - رسالة في الخطابة العربية

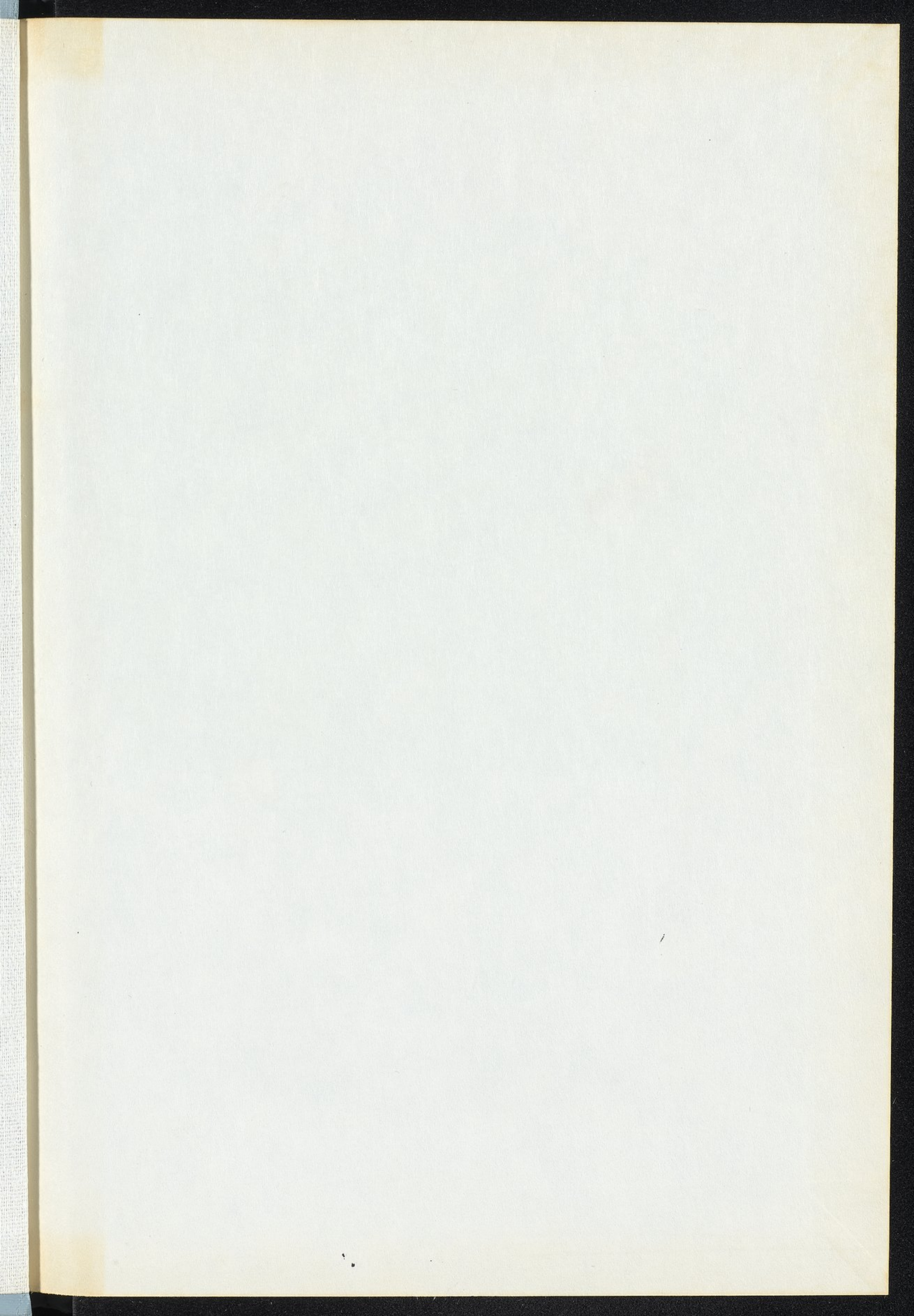
٩ ـ رسالة في خصائص الشعر العربي ومزاياه

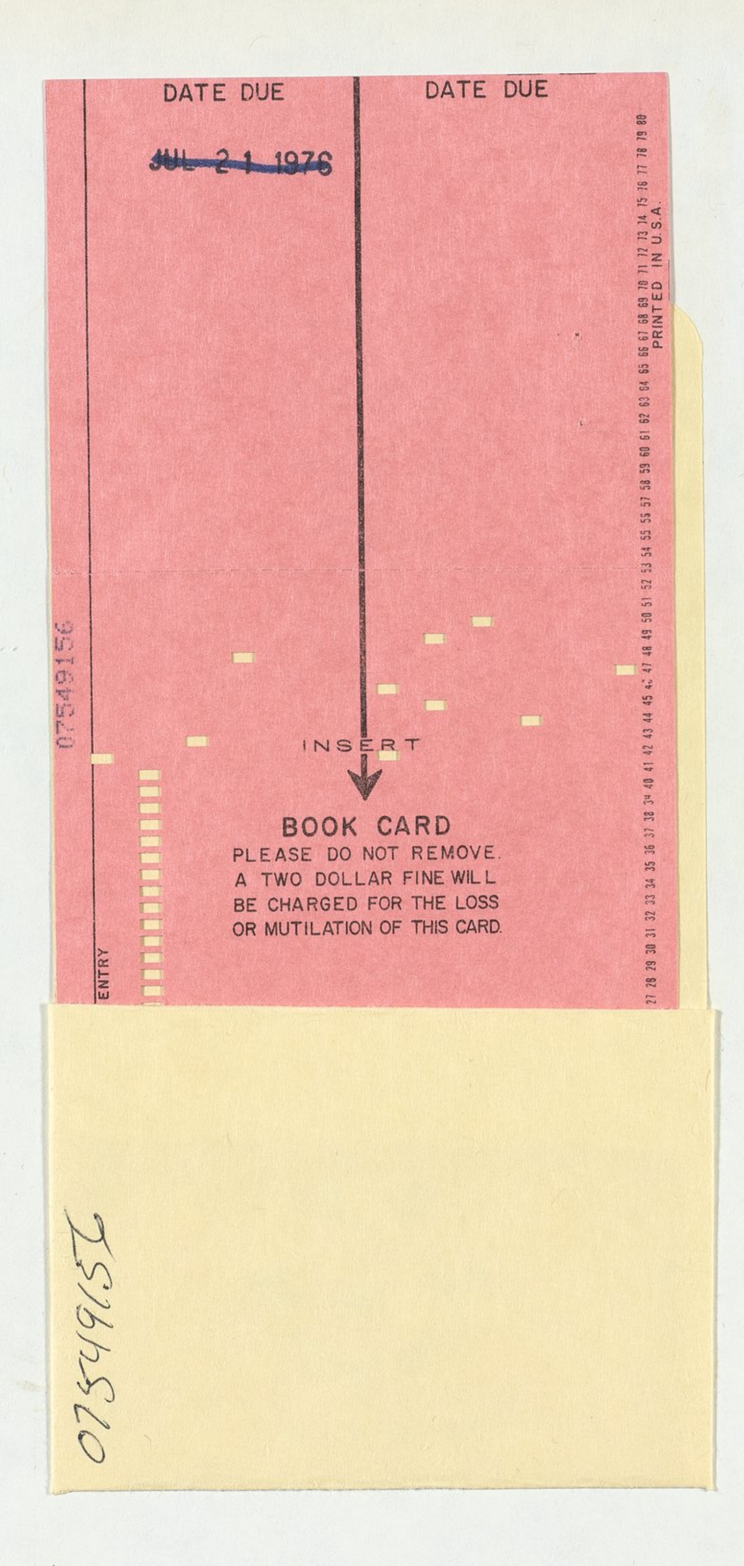
١٠٠٠/١٠١

١٩٧٠/١/٣٠








DATE DUE
DATE DUE
JUL 21 1976
INSERT
BOOK CARD
PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.
PRINTED IN U.S.A.
07549156
ENTRY
07549156

